

THAQAFATHUL ISLAM WA HADARATHUHU

COMPLEMENTARY COURSE

BA ARABIC

III SEMESTER

(2011 Admission)



UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

Calicut University P.O. Malappuram, Kerala, India 673 635

403

UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

STUDY MATERIAL

Complementary Course

BA ARABIC

III Semester

THAQAFATHUL ISLAM WA HADARATHUHU

Prepared by Sri. Abdul lathief P.P,
Asst. Professor,
Dept. of Arabic,
Govt. College Malappuram.

Scrutinised by: Dr. T.A. Abdul Majeed,
Principal,
MAMO College,
Mukkam, Calicut (Dist.).

Layout: Computer Section, SDE

©
Reserved

فهرس الموضوعات

إكرام الوالدين	(21)	I. مدخل إلى ثقافة الإسلام وحضارته
التعاون	(22)	(1) ثقافة الإسلام وحضارته
الرحمة	(23)	(2) الثقافة لغة واصطلاحا
V. الحياة الاجتماعية في الإسلام		(3) مفهوم الحضارة
الإسلام وحقوق الإنسان	(24)	(4) الثقافة الإسلامية
المرأة في الإسلام	(25)	II. مبادئ الإسلام
الميراث في الإسلام	(26)	(5) الإيمان بالله
نظام الاقتصاد في الإسلام	(27)	(6) الإيمان بالملائكة
الرق في نظر الإسلام	(28)	(7) الإيمان بالكتب
VI. الإسلام والحياة السياسية		(8) الإيمان بالرسول
مفهوم السياسة في الإسلام	(29)	(9) الإيمان باليوم الآخر
التسامح في الإسلام	(30)	(10) الإيمان بالقدر
نظام الحكم في الإسلام	(31)	III. أركان الإسلام
VII. المذاهب الفكرية في الإسلام		(11) النطق بالشهادتين
جماعة إخوان الصفا	(32)	(12) الصلاة
الزهد والتصوف	(33)	(13) الزكاة
التصوف والصوفية	(34)	(14) الصوم
علم الكلام	(35)	(15) الحج
أهل السنة والشيعة	(36)	IV. القيم الأخلاقية
الخوارج والمرجئة	(37)	(16) الإحسان
القدرية والجبرية	(38)	(17) الصبر
المعتزلة	(39)	(18) المؤاخاة
الأشاعرة	(40)	(19) التقوى
		(20) الصدق

UNIT-I

INTRODUCTION TO
ISLAMIC CULTURE AND CIVILIZATION

مدخل إلى ثقافة الإسلام وحضارته

الثقافة والحضارة

Culture and Civilisation

الثقافة لغة واص

طلّاحا:

إن تعريف كلمة 'ثقافة' تعريفاً دقيقاً أمر غير متاح، وذلك أن المعنى اللفظي لهذه الكلمة يضيق عن استيعاب مدلولها المتشعب، ذي الدلالات الكثيرة، والأبعاد غير المتناهية؛ لأنها كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوي الذي ذكرته معاجم اللغة العربية، إلا من قبيل التأويل والمجاز. لأن مدلولاتها اللفظية عند العرب تختلف في بعض الوجوه عن مفهومها عند الغرب.

استعمل العرب مادة 'الثقافة' بمعاني متعددة يرجع بعضها إلي أمور معنوية كما يرجع بعضها إلي أمور حسية وان كانت دلالتها على الأمور المعنوية أكثر من دلالتها على الحسيات. فمن الأمور المعنوية: الحذق، والفتنة والذكاء، والتهديب والتأديب، وسرعة أخذ العلم وفهمه، وضبط المعرفة المتلقاة. ومن المعاني الحسية: تقويم الشيء المعوج، وتسوية الرماح و السيوف، وإدراك الشيء والظفر به، وإصلاح الشيء وتقويمه وغير ذلك. يقال: ثقّف الرجل ثقفاً وثقافة أي صار حاذقاً فطناً، وثقفت العلم أو الصناعة في أو هي مدّة، إذا أسرعت أخذه، ويقال: ثقّف الصبي أي أدبه وهذبّه، وثقّف الرماح أي سواها وقوم اعوجاجها.

من مجموع ما سبق يتضح أن الدلالات اللغوية لمصطلح الثقافة في العربية واسعة ومتنوعة، تتناول الجانب المعرفي و الجانب السلوكي، كما أنها تستعمل في الأمور الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات.

يدور معنى كلمة " الثقافة " (culture) في أصلها اللاتيني على فلاحه الأرض وزراعتها وتنمية محصولاتها. ثم أخذت هذه الكلمة تتوسع في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية لتشمل تنمية الأرض بالمعنى المادي أو الحسي، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي. ثم تطور معناها فلاسفة العصور الحديثة، فأصبحت تعني: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات.

الثقافة اصطلاحاً :

لا يوجد عند علماء العربية والاسلام - في الزمن الماضي - مفهوما حيا للثقافة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في أيامهم، فلم نجدهم ينعنون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولونها بدراسة مستقلة أو مميزة. وحين دخلت الثقافة الاسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحوا يصفون فلانا بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لديهم مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافية.

وعلى هذا جاء تعريف " الثقافة" بالمعنى الاصطلاحي على يد المجمع اللغوي الذي عرفها بأنها: جملة العلوم و المعارف و الفنون التي يطلب العلم بها و الحذق فيها. وعرّفها بعض المفكرين من المسلمين بأنها: التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة وينسب إليها، ويتلقاه الفرد منذ ميلاده وحتى وفاته.

وأما في الغرب فقد اهتم العلماء والمفكرون بتحديد المعنى الاصطلاحي للثقافة، فتعددت الآراء حول مفهومها الاصطلاحي. وقال هنري لاوست : إن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة، التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها. ورأي آرنست باركر : إنها ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها، وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة. وعرّف ماثيو أرنولد : الثقافة هي محاولتنا للوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي البشرية. وعرّفها تيلر بأنها " ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف والعادات وغير ذلك من القدرات التي حصل عليها الفرد بوصفه عضواً في مجتمع.

وخلاصة الأمر أن التعريفات الاصطلاحية للثقافة تعددت عند فلاسفة الشرق والغرب بصور تتقارب في الفكر وتتفاوت في الألفاظ والصياغات. وحتى يكون للثقافة معناها ومفهومها الشامل، فلا بد من أن تشمل الجانبين : النظري والعلمي. وقد يكون التعريف الذي اختاره "مالك بن نبي" هو أقرب التعريفات لهذا المفهوم فقد عرّف الثقافة بأنها : مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح -لا شعورياً- العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.

مفهوم الحضارة

كلمة الحضارة تُلَفَّظ بفتح الحاء أو كسرهما وهي مشتقة من كلمة حضر، واشتقت منها كلمة الحضرة، والحاضرة والحضرة والحضارة، وكلها تستخدم في المعنى اللغوي وهو الإقامة في المدن عكس البادية. ولفظ "حضارة" صار يستعمل كمصطلح له معان أخرى اختلفت في تفسير معناها من وقت لآخر ومن مجتمع إلى مجتمع. وإذا كانت الحاضرة ضدّ البادية كانت كلمة

الحضارة خاصة بالمدن والقرى والريف وأهلها، ولهذا السبب تطلق على 'الحضارة' أيضا كلمة 'المدنية' التي تعادل كلمة (civilisation) في اللغات الأوروبية، لأنها مشتقة من كلمة (civitas) اللاتينية التي تعني المدنية. ولما كانت كلمة المدنية الآن يراد بها الرقى والتقدم ضدّ التوحش والبربرية والتأخر، عرفت المدنية على أنها خاصة بالمجتمعات الراقية المهذبة صاحبة العلوم والمعارف. فقد وضع ابن خلدون - المؤرخ العربي - معنى لها في مقدمته، حيث عدّ الحضارة غاية العمران ومنتهاه، خلافا للبادية التي تمثل أول العمران ومنتداه. ووصلت إلى المرحلة التي بلغ الناس بها حالة زائدة على الضروري من أحوال معاشهم وتمكنهم من التفتن والترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه والمباني والملابس والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله وما تستدعيه أصناف الصنائع المستعملة من مهارة في العمل.

أما في العصر الحديث فقد اختلف الباحثون على مدلول كلمة الحضارة فانقسموا إلى فريقين:-

فريق يرى أن معنى كلمة "حضارة" تستعمل في اتجاه النظم الاجتماعية والثقافية فقد رأى الباحثون الأمريكيون والالمان هذا الرأي وعلى رأسهم 'ول ديورانت' كاتب قصة الحضارة حيث يقول: "إن الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي".

كما يرى الالمان نفس الرأي تقريبا حيث أن الحضارة برأيهم: هي الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الاصاله الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للانسان. والفريق الثاني من الباحثين وعلى رأسهم الفرنسيون يرون أن الحضارة تضم عناصر أنشطة المجتمع المختلفة من فكرية وتكنولوجية ، ويدمجونها تحت معنى واحد " المدنية" وهي لفظة رديفة لكلمة الحضارة عندهم.

نستخلص من ذلك أن الاختلاف في مدلول كلمة " الحضارة" حيث يرى الفريق الأول أنها تعني المظاهر الفكرية في المجتمع فقط، ويرى الفريق الثاني أنها تعنى مجموعة المظاهر الفكرية والمادية في المجتمع.

ولعل أحسن تعريف للحضارة ما ذكره ابن خلدون: وهو أنها نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة، وإدارة شؤون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية.

العلاقة بين الثقافة و الحضارة :

الحضارة تتناول جملة من مظاهر الرقى العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية , أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها , فالثقافة تهتم بالجوانب المعنوية و الحضارة الصق بالماديات , و هذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العلمي فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباط وثيقا , لان ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها و فكرها و أسلوب حياتها , فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية.

الثقافة الاسلامية

لكل أمة ثقافة خاصة بها، وأمة الإسلام تتفرد بثقافتها عن ثقافة سائر الأمم حيث تكتسب تميّزها الخاص بين الثقافات في أسسها وفي مقوماتها وخصائصها. فلكل مجتمع خصائصه وله كذلك ثقافته وإذا تأملنا ثقافة أي مجتمع عرفنا عقيدته وقيمه وأفكاره وأوضح دليل على ذلك المجتمع العربي القديم الذي كان يعيش في جزيرة العرب قبل الإسلام، فإن ثقافته في العصر الجاهلي تختلف كثيرا عن ثقافته بعد ظهور الاسلام، حيث تأثر به تأثيرا عميقا، ظهر في كل جوانب الحياة الاجتماعية والفردية. والثقافة الإسلامية تركز أساسيا على أصليين:-

أحدهما: ارتباطها الوثيق بالدين:

إن الدين هو أقوى المؤثرات في تكوين الفرد والمجتمع، وذلك لأنه يتغلغل في أعماق النفس الإنسانية ويتحكم في المشاعر والعواطف والوجدان، ويؤثر تأثيرا عميقا في تكوين الخلق وفي دوافع السلوك وبالتالي في تكوين العرف والتقاليد والعادات.

وقد ظهر أثر الإسلام المقوي في تكوين الثقافة الإسلامية، لأنه دين كامل الجوانب شامل لجميع نواحي الحياة. فالإسلام ينظم حياة الفرد مع خالقه بسنّ العبادات من صلاة وصيام وحج وتقرير عقيدة التوحيد التي تجعل الفرد لا يؤله غير الله ولا يتوجه في أعماله إلا إليه. ثم إن الإسلام قد نظم روابط الفرد بغيره، فوضع له أحكام رابطة الزوجية وحدد حقوق كل من الزوجين وواجباته قبل الآخر، وكذلك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ونصيب كل وارث، وأخيرا وضع الاسلام الأسس التي تقوم عليها علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وما لكل من الفرد والمجتمع من حقوق وواجبات متبادلة. وجاء تأثير ذلك كله في الثقافة واضحا بارزا فقيم المجتمع الإسلامي وأفكاره وتقاليد مأخوذة من تلك الأحكام الإسلامية. ونجد الأمثلة على ذلك عديدة متنوعة، فالتربية الدينية للنشئ وتجنب العمل الذي تحرمه الشريعة وكذلك تجنب شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة وإباحة التجارة والبعد عن الربا، وإقامة نظام الزواج على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع قواعد الأخلاق في المعاملات الفردية والاجتماعية وفي علاقات المسلمين بغيرهم في السلم والحرب وإنشاء المساجد وتعميرها، كل ذلك وغيره كثير من مظاهر الثقافة الإسلامية التي نبغت من الاسلام واتكزت على قواعد الاسلام.

ثانيهما: اتفاقها مع الفطرة الإنسانية:

ليس معنى أن الثقافة الإسلامية تركز على أساس ديني، أنها ثقافة مفروضة على النفس الإنسانية، وأن الإنسان مجبر على الأخذ بها كما هو الشأن في القوانين والنظم الوضعية، ولكن على العكس من ذلك، نجد أن الثقافة الإسلامية تمثل حياة الإنسان وتتفق مع واقعه وطبيعته، وذلك

بسبب هام هو أن الإسلام دين الفطرة وأنه الدين الذي يلبي حاجات النفس الإنسانية ويحقق لها ما تصبو إليه من إشباع رغبات النفس والجسد دون ضرر ولا ضرار.

كما أن الإسلام يحقق التوازن في حياة الفرد والمجتمع بين القيم المادية والقيم الروحية، بين ما تتطلبه الحياة الدنيا في أمور المعيشة وبين ما تقتضيه الحياة الآخرة من الإعداد لها وتقديم العمل لأجلها. ولولا اتفاق الإسلام مع فطرة الإنسان وتلبيته لحاجاته الأساسية ورغباته السامية جميعاً ما ينجح هذا النجاح، ولما ازداد الناس تمسكاً به على مرّ العصور، ولكان من الممكن أن يلقي ما لقيته الديانات الأخرى التي لا تتفق مع الفطرة الإنسانية من انفصام بينها وبين الواقع الذي يعيشه معتقوها. وقد لمس المسلمون على مرّ العصور أن الشقاء يحالف كل من يبتعد عن أحكام الإسلام، فزادهم ذلك حرصاً على التمسك به والاطمئنان إلى الثقافة والحضارة التي تقوم على أساس بنيانه العظيم.

مبادئ الإسلام Basic Principles of Islam

قد ذكرنا أن ثقافة الإسلام وحضارته بنيت على أصليين هما ارتباطها بالدين واتفاقها بالفطرة الإنسانية، فالإسلام كثقافة أصيلة لها مبادئها الخاصة يؤمن بها أصحابها إيماناً راسخاً، وواجبات عملية يأتيها في حياتهم الدنيوية، وسلوكاً وعادات يتمسك بها في هذا المجتمع. فلنبحث موجزاً عن مبادئ الإسلام. وهي تعرف بـ"أركان الإيمان" يجب الاعتقاد بها كل إنسان ليدخل في زمرة المؤمنين. وهي ستة أمور كما جاء في حديث رواه البخاري ومسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

1) الإيمان بالله تعالى:

إن أول ركن من أركان الإسلام الإيمان بالله تعالى . فكلمة "لا إله إلا الله" يقوم عليها بناء الإسلام، وهي التي تميز المسلم من الكافر والمشرک والملحد، وهي التي تحدث الفرق العظيم بين الإنسان المؤمن بها والإنسان المعرض عنها.

وكلمة "الله" علم للحق تعالى، فمعنى "لا إله إلا الله" أنه ليس في هذا الكون أحد يستحق العبادة والإطاعة بحق إلا الله تعالى. فليس لهذا الكون من مالك ولا حاكم حقيقي إلا هو وحده، وكل شيء مفتقر إليه مضطراً إلى استعانته. فمعنى الإيمان بالله تعالى الاعتقاد الجازم أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يملك أحد في هذا الكون وجوداً مثل وجوده ولا صفة مثل صفاته ولا أفعالا مثل أفعاله، يدل عليه قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). وإنه تعالى هو الأول فلا بداية لوجوده ، وهو الباقي فلا نهاية لبقائه، وهو الواجب الوجود فلم يحتج إلى شيء

يوجده، وهو القاهر فوق عباده وهو على كل شيء قدير. وله الأسماء الحسنى وهي تنبئ على عظمته وقدرته الباهرة.

وكل شيء في هذا الكون يدل على وجوده تعالى ، والعقل الصحيح يعترف أن كل شيء في هذا الكون يحتاج إلى صانع، لأن هذا العالم البديع بما فيها الشمس والقمر والكواكب والبحار والدواب وغيرها يتطلب صناعاً حكيماً يدبرها بأمره، وهو الله تعالى الحكيم العليم.

يتحقق الإيمان بالله عز وجل بما يلي :

أولاً : الاعتقاد بأن لهذا الكون رباً واحداً تفرد بخلقه وملكه وتدبيره وتصريف شئونه رزقاً وقدرة وفعلاً وإحياء وإماتة ونفعاً وضراً لا رب سواه، يفعل وحده ما يشاء ويحكم ما يريد، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده ملكوت السموات والأرض وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم ، غني عما سواه ، له الأمر كله وبيده الخير كله ، ليس له شريك في أفعاله ، ولا غالب له على أمره ، بل الخلق جميعاً بمن فيهم الملائكة والإنس والجن عبيد له ، لا يخرجون عن ملكه وقدرته وإرادته سبحانه ، وأفعاله لا تدخل تحت حصر ، ولا يحصرها عدد ، وكل تلك الخصائص هي حق له وحده لا شريك له ، لا يستحقها أحد سواه، ولا يجوز نسبتها ولا إثبات شيء منها لغير الله عز وجل.

ثانياً : أن الله تعالى منزّه عن صفات النقص والعيب مطلقاً، كالنوم والعجز والجهل والظلم وغير ذلك ، كما أنه تعالى منزّه عن مماثلة المخلوقين ، فيلزم نفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه، فإن النفي إثبات كمالية ضده، مثلاً فإذا نفينا عنه النوم فهو إثبات كمالية الحياة .

وهذا الاعتقاد الجازم بوحداية الله تعالى وقدرته هو التوحيد، وضده الإشراف، وهو إثبات الشريك لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله بمعنى أنه واجب الوجود ومستحق العبادة. ومن اعتقد أن له شريك في ذاته أو صفاته أو أفعاله فهو مشرك، ومن أنكر وجوده تعالى فهو كافر ملحد.

تأثير عقيدة التوحيد:

إن الإيمان بـ " لا إله إلا الله " يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله ومحافظاً عليه. فإن المؤمن يكون على يقين، بسبب اعتقاده بهذه الكلمة، أن الله خبير بكل شيء ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه إن أتى بعمل في ظلمة الليل أو حالة الوحدة ، فإن الله يعلمه، وأنه إن خطر بباله شيء غير جميل، فإن علم الله محيط به، وأنه إن كان من الممكن له أن يخفي أعماله على كل واحد في الدنيا، فإنه لا يستطيع إخفاءه على الله عز وجل، وأنه إن كان يستطيع أن يفلت من بطش أي كان، فإنه لا يستطيع أن يفلت من الله عز وجل، فعلى قدر ما يكون هذا الإيمان راسخاً في ذهن الإنسان، يكون متبعاً لأحكام الله قائماً عند حدوده، لا يجرأ على اقتراف ما حرم الله، ويسارع إلى

الخيرات والعمل بما أمر الله به، ولو في ظلمة الليل أو حال الوحدة والخلوة، فإن معه شرطة لا تفارقه حيناً من أحيانه، وهو يتمثل دائماً أمام عينه تلك المحكمة العليا التي لا يكاد الإنسان ينفذ من دائرة حسابها . ومن أجل ذلك فقد جعل الإيمان بـ "لا إله إلا الله " أول شرط وأهمه ليكون الإنسان مسلماً، فإن المسلم هو العبد المطيع المنقاد لله تعالى، ولا يمكن أن يكون الإنسان عبداً مطيعاً منقاداً لله تعالى إلا إذا كان مؤمناً من قلبه بأن لا إله إلا الله. وهذا الإيمان هو الركن المهم الأساسي من عقيدة الإسلام.

(2) الإيمان بالملائكة:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله ملائكة خلقهم من نور، مجبولين على طاعته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ، لا يعلم عددهم إلا الله ، كلفهم الله بأعمال ووظائف مختلفة. هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة ، التي لا يصحّ إيمان عبد ولا يُقبل إلا بها . وقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالملائكة الكرام ، فمن أنكر وجودهم ، أو وجود بعضهم ممن ذكرهم الله عز وجل فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع . لأن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم عدّة مرات عن الملائكة وذكر أسماء بعضهم . وهم عباد الله المكرمون، خلقهم الله قبل آدم عليه السلام، فأمر الله الملائكة بالسجود له، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس.

فيجب على المؤمن إجمالاً أن يقرّ بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله ، خلقهم الله لعبادته، وأن وجودهم حقيقي ، فهم عباد الله مأمورون ، أكرمهم الله ورفع مقامهم وقربهم منه . وعدم رؤيتنا لهم لا يدل على عدم وجودهم ، فكم من مخلوقات دقيقة في الكون لا نراها وهي موجودة حقيقة. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورة إنسان كريم الوجه والهيئة ورآه أيضاً في السماء بأجنحته الكثيرة ، ورأى بعض الصحابة رضي الله عنهم بعض الملائكة وهم متمثلون بصورة البشر .

الملائكة قوم مفطورون على الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم عباد الله المصطفون ومنزهون عن الأخطاء والآثام ، وهو مشغولون في جميع الأوقات بتنفيذ أوامر الله تعالى، لا يوصفون بالذكور والاناث، ولا بالصغار والكبار، ولا يناكحون ولا يولدون، ولا حاجة في طبيعتهم إلى الطعام والشراب ولا المال والجاه. فبذلك وهم مبتعدون عن جميع الشهوات الإنسانية والنزعات النفسية، ومسكنهم العالم العلوي وينزلون إلى الأرض بأمر من الله تعالى.

خصهم الله تعالى بأعمال خاصة، وفرّقهم شيعاً ليقوموا بمهامهم المؤكدة. ومن أشهر الملائكة وأشرفهم عشرة: جبريل المؤكل بتبليغ الوحي والرسالة إلى الرسل، وميكائيل المؤكل بالبرق والبرق والمطر والرياح، وإسرافيل المؤكل بالنفخ عند القيامة، وعزرائيل المسؤول بقبض الأرواح ، ومنكر ونكير المؤكلان بالسؤال في القبر، ورقيب وعتيد المؤكلان بتسجيل أعمال الإنسان، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار. ومنهم فرقة تُدعى الحفظة والكتبة وحملة

العرش والسفرة، وكذا فيهم مشغولون بالركوع والسجود والتسبيح والتهليل دائمين بلا انقطاع ، ولا يحصى عددهم إلا الله تعالى.

(3) الإيمان بالكتب:

الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، فإن الله تعالى قد أرسل رسله بالبينات وأنزل عليهم الكتب رحمة للخلق وهداية لهم ليحقق بها سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولتكون منهجاً يسيرون عليه وحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه .

ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيدته ليهديهم إلى الرشد ويثبتهم على الصراط المستقيم. وكل ما في هذه الكتب حق وصدق يجب اتباعه والعمل به. ومن تلك الكتب:

التوراة: هذا كتاب أنزله الله على كليمه موسى عليه السلام، وذلك لبيان الأحكام الشرعية والعقائد الصحيحة الرضية، والتبشير بظهور نبي من بني إسماعيل عليه السلام وهو محمد صلى الله عليه وسلم. أرسل الله موسى عليه السلام بالتوراة إلى بني إسرائيل قوم فرعون ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، وليهديهم من الظلمات إلى النور. ولكن التوراة التي بين أيدينا محرّفة ومبدّلة تماماً ليس فيها كثير من الأحكام الشرعية التي أنزل على موسى عليه السلام، بدّلها الأحرار والرهبان حسب أهوائهم وأغراضهم الدنيوية.

الزبور: وهو الكتاب الذي أنزله الله على دود عليه السلام ، وهو عبارة عن أدعية وأذكار ومواعظ وحكم ، وليس فيه الأحكام الشرعية من حلال وحرام ، لأن دود عليه السلام كان مؤموراً باتباع الشريعة الموسوية.

الانجيل: كتاب أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام ، لدعوة قومه إلى الصراط المستقيم، وذلك ببيان الحقائق الشرعية ونسخ بعض أحكام التوراة الفرعية والتبشير بظهور خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يوجد اليوم نسخة صحيحة للإنجيل، والكتاب المدعوب " الكتاب المقدس " عند النصارى ليس بـ"الإنجيل" المنزّل على عيسى عليه السلام ، بل هو مجموعة كتب محرّفة ومكتوبة من عند أنفسهم، تنسب إلى أصحابها.

القرآن الكريم: هو آخر كتاب وأشرفه وأعظمه وأشمله أنزله الله تعالى على آخر رسله محمد صلى الله عليه وسلم بمدة ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث. وهو ناسخ لجميع الكتب المتقدمة، وحكمه باق إلى يوم الحشر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علیم.

ومع ذلك، قد أنزل الله صحفاً وأسفاراً على بعض الأنبياء السابقة، قال تعالى: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) وهي مائة صحيفة على ما ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه، عشر صحائف نزلت على آدم وخمسون صحيفة على شيث بن آدم وثلاثون

صحيفة على إدريس وعشر صحف على إبراهيم وعشر على موسى قبل التوراة عليهم الصلاة والسلام، ونؤمن إجمالاً أن كل ما فيها كان حقاً من عند الله تعالى.

(4) الايمان بالرسول:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله رسلاً اصطفاهم لتبليغ رسالاته، واختارهم ليكونوا داعين إلى الله وتوحيده وطاعته، عبر الأزمان والعصور، عند ما ينحرف الناس عن الصراط المستقيم. وهم دعوا الناس إلى الله تعالى وبشروهم بالجنة وأنذروهم عن النار. وأنهم قد بلغوا ما أنزل الله إليهم من ربهم البلاغ المبين، وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وأقاموا الحجة ولم يبدلوا أو يغيروا ولم يكتموا شيئاً مما أمروا بالتبليغ به. وعددهم يفوق على مائة ألف، وذكر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبياً، فعلينا أن نعرف أسماءهم ونؤمن بهم جزماً بأنهم رسل الله وكلهم الله لتبليغ رسالته.

وأشرف الرسل المتصفون بـ "أولى العزم" خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وأشرفهم قدراً هو خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. وهؤلاء الأنبياء جميعاً هم المتصفون بالصدق والأمانة والفظانة والتبليغ بما أمرهم الله، أيدهم الله بالمعجزات الباهرات دليلاً على رسالتهم، ولا يوجد فيهم نقص جسدي أو عقلي، وكانوا كلهم ذكورا ولم يرسل الله أحداً من النساء نبياً، لأن أعباء الدعوة والتبليغ لا تستقيم بطبيعة المرأة الفطرية.

ولم يبق أمة في العصور الماضية إلا أرسل الله إليهم رسولا، قال تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وأيدهم بالمعجزات لتكون حجة على صدقهم كما أيد الله موسى عليه السلام بالعصا واليد، وأعطى الله عيسى عليه السلام قدرة إبراء الأكمه والابصر وإحياء الموتى بإذن الله، وسخر لسليمان عليه السلام الجن والريح، وعلم دودَ عليه السلام منطق الطير، وأيد صالحاً بالناقة. وأعطى الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بعدة معجزات، ومن أبرزها وأعظمها القرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة التي تحدت بها العرب والعجم والانس والجن، حيث قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً).

وخص الله النبي محمداً صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء بخصائص كثيرة: منها أن هؤلاء الانبياء كانوا إلى أم خاصة ولأزمان محدودة، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل إلى العالمين جميعاً، وحتى يوم القيامة. ومنها أنه انقضت تعاليم هؤلاء الرسل انقراضاً تاماً، أو لم تبق محفوظة بأشكالها الأصلية. أما محمد صلى الله عليه وسلم، فتعاليمه وسيرته وأقواله وأعماله وأخلاقه وعاداته وخصاله، كلها مدونة في الكتب في متناول أيدي الناس. ومنها أن تعاليم الإسلام الذي جاء بها الأنبياء الأقدمون ما كانت تعاليم كاملة، فما جاء نبي من هؤلاء الأنبياء إلا أصلح تعاليم الأنبياء الأقدمين وأحكامهم وقوانينهم وطرق هدايتهم، وحذف منها وأضاف إليها. فمحمد صلى الله عليه وسلم أتى برسالة كاملة شاملة جمع فيها كل ما كان من الخير في تعاليم الأنبياء الأقدمين، فصار اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كاتباع جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام.

(5) الايمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو المسمى بيوم القيامة وبيوم الساعة، يوم عظيم الأهوال، يوم يُهلك الله هذا الكونَ وما فيه من الأرض والسموات والقمر والشمس والنجوم والحيوانات والدواب وغيرها ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام. ومعنى الإيمان باليوم الآخر أن يعتقد أن لهذه الحياة الدنيا نهايةً ويصير الإنسان بعدها إلى دار أخرى تسمى دار الآخرة، يعطى الله هناك جزاء أعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ، فيخلد الإنسان إما في الجنة أو في النار.

وهذا اليوم واقع لا محالة فيه، قال تعالى: (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بيان عن أهوال وشدائد هذا اليوم العظيم. وهو يوم تزلزل فيه الأرض وتخرج الأرض ما في بطنها من أثقال، وهو يوم يكون الناس كالفراش المبتوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، وهو يوم تنشق الأرض وتنقطر السموات وتتناثر الكواكب والنجوم، وتسجّر البحار، وتسير الجبال، ويحير الناس من أهواله كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

وهذه الحادثة الكبرى تقع بنفخ إسرافيل في الصور بأمر من الله تعالى، وتتبعها حوادث كبرى أعظم منها . وعند النفخة الأولى تموت الخلائق جميعاً إلا من شاء الله ، وعند النفخة الثانية تبعث الخلائق أجمع منذ خلق الله الدنيا إلى قيام الساعة، فتحشر في صعيد واحد للحساب. وبعد الحساب يجزى كلُّ حسب أعماله، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

ومن الايمان باليوم الآخر ، الإيمان بما يأتي بعد القيامة من وقائع عظام من البعث والحشر والحساب و عرض الأعمال والميزان والشفاعة والحوض والصراط والجنة والنار. وقد ورد بيانها موسعا في القرآن والأحاديث النبوية وفي الكتب المؤلفة في هذا الباب.

وقد اهتم الاسلام بشأن البعث والدار الآخرة اهتماما عظيما، فقلما نجد سورة من سور القرآن إلا وتذكر البعث والحشر وتقرر أمره في صورة متعددة ، وكثيرا ما نجد فيه سورا تقوم بأسرها على هذا الشأن فتفيض فيه ما بين تذكير وبيان وضرب للأمثال ونفي للشك وغير ذلك. وسبب هذا الاهتمام أن هذه العقيدة أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح في العالم. فلو أن الناس جميعا قد استقرت فيهم هذه العقيدة وأمنوا بها إيمانا لا يخامرهم شك لاستقامت أمورهم، وكثر فيهم الخير والإحسان، وقلّ بينهم الشر والفساد، ولكن البشر في كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا، وتخلبهم بزخارفها ومتاعها، فيغفلون أنهم سيبعثون بعد الموت وأنهم سيعرضون للحساب وسيقضون حياة خالدة لا ممات بعدها إما في الجحيم أو في النعيم المقيم.

(6) الايمان بالقدر:

هو التصديق الجازم بأن كل ما يجري في هذا الكون من خيرٍ وشرٍّ فهو بقضاء الله وقدره، ويقع بمقتضى سابق علمه وإرادته. وقال تعالى في سورة القمر : { إنا كل شيء خلقناه بقدر } وقال في سورة الفرقان : { وخلق كل شيء فقدره تقديرا } يعني أن كل شيء كائن إلى يوم القيامة خيرا كان أو شرا ثابت حسب قضائه الأزلي. وفي حديث المتفق عليه لما سأل جبريلُ النبيَّ صلى

الله عليه وسلم : أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

ولا شك أن الاعتقاد بالقضاء والقدر من أركان الإيمان ، و أنه تعالى فعّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، و لا يخرج شيء عن مشيئته، و ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، و لا يصدر إلا عن تدبيره، و لا محيد لأحد عن القدر والمقدور، و لا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، و أنه خالق أفعال العباد، و الطاعات والمعاصي.

فعلينا أن نعتقد أن أفعال العباد سواء كانت اختيارية مثل القيام والقعود والأكل والشرب، أو اضطرارية مثل الحياة والموت والمرض ، كلها كائنة بإرادة الله تعالى وتقديره الأزلي وعلمه بها قبل وقتها. فليس في علمه تعالى ماض ولا مستقبل وكل أمر من وجود الكون إلى فناءه حاضر في علمه تعالى ويديره بأمره وحكمته.

فإذا كان الله تعالى هو الخالق لجميع أفعال العباد فلا يكون العبد حينئذ مجبوراً لأن له إرادة جزئية يقدر على صرفها إلى جانب الخير وإلى جانب الشر، وله عقل يميز به بينها. فإذا صرف إرادته إلى الخير ظهر ذلك الخير الذي أراده وأثيب عليه، لظهوره على يده وتعلق إرادته الجزئية به. وإن صرفها إلى جانب الشر ظهر ذلك الشر وعوقب عليه لظهوره على يده وتعلق إرادته الجزئية به. وقال تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً.

كل إنسان يمكنه أن يعرف بأنه ليس مجبوراً على جميع أفعاله، وذلك باستطاعته للتمييز بين تحرك يده وقت الكتابة وبين تحرك يده وقت الارتعاش مثلاً، فإن تحرك يده حال الكتابة ينسب إليه بعكسه وقت الارتعاش. فبذلك، أفعال العباد الاختيارية إذا كانت خيراً يترتب عليها الثواب ، وإن كانت شراً يترتب عليها العقاب. وأما أفعاله الاضطرارية فلا يترتب عليها شيء من ذلك.

وقد وقع في الخطأ من اعتقد أن الإنسان مجبر في كل ما يقع منه من خير وشر، ولا اختيار فيه، ومن ثم فلا مسئولية عليه ، وهؤلاء هم الجبرية. وكذا أخطأ من انكروا قدر الله ونسبوا كل أفعال العباد إلى أنفسهم ، وهؤلاء هم القدرية أو نفاة القدر.

ثمرة الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر يعطى الإنسان ثماراً طيبة وآثاراً حسنة في حياته، تعود على الأمة والفرد بالصلاح. إن المؤمن بالقدر يمضي في حياته على منهج سوي ، فلا تُبطره النعمة ، ولا ييأس بالمصيبة ، ويستيقن أن ما أصابه من ضرّاء فبتقدير الله ابتلاء ، فلا يجزع بل يصبر ويحتسب. وإنه أيضاً يحمي من أسباب الضلال وسوء الخاتمة إذ يثمر له المجاهدة الدائمة على الاستقامة والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات. وكذا يُثمر الإيمان بالقدر القدرة لمواجهة المصاعب والأحوال بقلب ثابت ويقين تام مع فعل الأسباب .

ومن أعجب ما أثر فيه ما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرٌ وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له".

أركان الاسلام

Practices of Islam

كما تشتمل تعاليم الاسلام وثقافته على مبادئ وعقائد أساسية، تحتوي على أعمال وعادات لازمة يتوجب على المسلم إتقانها في حياته اليومية، وذلك المسمى بـ "أركان الاسلام". وهي خمسة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً."

(1) النطق بالشهادتين:

هو أول ركن من أركان الاسلام، وأول ما يجب على المرء ليكون داخلاً في حوزة الإسلام. والمراد بالشهادتين كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " والشهادة هو التصديق الجازم بالقلب والنطق باللسان أنه ليس هنا معبود بحق إلا الله تعالى الواحد القهار، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله، أرسله إلى الإنس والجن كافة، أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

هذه هي "كلمة الشهادة"، ولها جزءان: الأول شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني شهادة أن محمداً رسول الله. وهاتان الشهادتان يجب أن يأتي بهما المسلم معاً لأن الثانية متممة للأولى. قد مرّ في الفصل السابق بيان معنى الإيمان بالله تعالى ومعنى الإيمان بالرسول، ولا نورد بيانهما هنا. والمراد بالشهادة هنا التصديق بالقلب والتلفظ باللسان. ولا يتم معرفة الله تعالى إلا بمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الرسول هو الذي أخبرنا بوحداية الله وألوهيته وربوبيته وقدرته الشاملة. فتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم بتصديق بكل ما جاء به من عند الله تعالى من المغيبات، وأحكام الدين، وأخلاق المجتمع وغيرها. فيصير المسلم مصدقاً لله ولرسوله ومطيعاً لهما معاً في كل ما شرع الاسلام، وهذا من مستلزمات النطق بالشهادتين.

(2) الصلاة:

هي شرعاً أفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. وهي أفضل الأعمال البدنية، وفريضة مهمة من فرائض الاسلام الظاهرة. إنما تجب الصلاة على كل مسلم عاقل بالغ، فلا تجب على كافر ومجنون وصبي. ويجب على كل من الأبوين أو الوصي أو القيم أن يأمر الصبي المميز بالصلاة بعد تمام سبع سنين وأن يضرب علي تركها إذا استكمل عشر سنين.

الصلوات الخمس واجبة على كل مسلم، قال تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا). وفي الحديث "الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين). وقد ورد وعيد عظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن تارك الصلاة، وذلك لأن الصلوات الخمس المفروضة شعار من شعائر الاسلام الجليلة وفارقة بين الكفر والايمان.

الصلاة هو الانقياد التام والخضوع الأقصى أمام الخالق سبحانه، والمصلي يضع الوجه - أشرف أعضائه - في التراب ويبتهل إلى الله معترفاً بعجزه وذلك أمام قدرته الباهرة. والصلاة أيضاً مناجاة بين العبد وربّه.

الصلوات المفروضة خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، وهذه الصلوات فريضة على مسلم ومسلمة كل يوم في أوقاتها المحددة، وأما صلاة الجمعة مفروضة على كل مسلم ذكر يوم الجمعة بدل الظهر، فلا تجب على المرأة والمسافر والصبي والمريض.

إضافة إلى الصلوات المفروضة، هناك صلوات مسنونة ومدنوبة، يستحبّ على المؤمن أدائها ليصير مقرباً إلى الله ومحباً له، منها ما تسن فيها الجماعة كصلاة العيدين، والاستسقاء والكسوفين والتراويح، ومنها ما لا تسن فيها الجماعة كالرواتب والضحية والمسجد والوتر في غير رمضان.

الصلاة تصفي المؤمن من جميع الخطايا والذنوب، وتبعده عن الفواحش والرذائل إذا أداها على حقها، قال صلى الله عليه وسلم: أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، فهل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال صلى الله عليه وسلم: وكذلك الصلوات الخمس يحمو الله بهن الخطايا. يقول تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وأكد الاسلام تأكيداً شديداً أن يؤدي المسلمون فريضة الصلاة جماعة، وهي واجبة في صلاة الجمعة. فالصلاة جماعة تنشئ الاتحاد والمحبة والإخاء بين المسلمين، وتجعل منهم كتلة مترابطة، فإنهم عندما يجتمعون ويقفون لربهم ويسجدون له ويركعون معا تأتلف قلوبهم، وينشأ فيهم الشعور بأنهم إخوة فيما بينهم، ثم إن الصلاة في جماعة تدربهم على طاعة أمير ينتخبونه من بين أنفسهم، وتربيتهم على النظام والانضباط والمحافظة على الأوقات، وتنشئ فيهم المواساة والتراحم والمساواة والائتلاف، فتراهم جميعاً غنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم وأعلامهم وأدناهم يقومون جنباً إلى جنب، فلا شريف فيهم ولا دنيء، ولا رفيع ولا وضيع.

(3) الزكاة:

المال متاع الحياة الدنيا جعله الله قواماً للناس ومنافع لهم، ووزّعه بينهم بتفاوت حسب حكمته ليؤدوا منه حق الله وحق عباده. والله تعالى فرض على كل فرد من أفراد المسلمين إذا بلغ ماله النصاب أن يدفع نصيباً منه إلى المستحقين. فالمراد بالزكاة ما يخرجها المؤمن الغني من ماله

لمن ذكرهم الله تعالى في كتابه من ثمانية أصناف: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل).

الأشياء التي تجب فيها الزكاة:

تجب الزكاة في خمسة أشياء: (1) الانعام وهي الابل والبقر والغنم ومن البقر الجاموس (2) النقد وهو الذهب والفضة وما يقوم مقامهما (3) الحبوب من الارز والقمح وغيرهما (4) الثمار من الزبيب والتمر وغيرهما (5) عروض التجارة يعنى ما يحصل ربحا من عروض التجارة. وفي كل هذه الأنواع نصاب محدد إذا بلغ تجب الزكاة فيه.

هذه هي زكاة الأموال، ومن زكاة الأبدان زكاة الفطر، وهي تلزم بغروب الشمس في آخر يوم من شهر رمضان إذا فضل شيء عن قوته وقوت من تلزمه نفقته في يوم العيد وليلته، وعن مسكنه وعن دينه. يدفع زكاة الفطر صاعا من غالب قوت البلد عن نفسه وعن كل مسلم تلزمه نفقته.

إن نظام الزكاة في الاسلام تبعث في الأمة الاسلامية روح التضحية والإيثار لوجه الله تعالى، وتزيل عن قلوبها الأثرة وحب الذات وضيق الصدر وعبودية المال وما إليها من الصفات الدنيئة الأخرى. ومن فوائد الزكاة في الدنيا أن يتناصر المسلمون ويتكافؤا فيما بينهم، حتى لا يبقى فيهم عار ولا جائع ولا مهين، ويكفل غنيهم فقيرهم أن يبسط يده إلى الغني بالاستمداد، ولا ينفق أحد أمواله في البذخ والترف، ويعلم أن في أمواله حقا لليتامى والايامى والفقراء والمساكين من أبناء أمته، وأن فيها حقا للذين يقدرون على العمل ولكن لا يجدون إليه سبيلا لكي يعوزهم من المال وأن فيها حقا للأطفال الذين فطروا على الذكاء والفتنة ولكن لا يقدرون على تحصيل العلم بسبب فقرهم ، وأن فيها حقا للعجزة الذين لم يعودوا قادرين على العمل.

ويزيل نظام الزكاة الفقر والمجاعة من وجه الأرض إذا قامت الأمة الإسلامية بتطبيقه على وجه الكمال، لأن التاريخ يذكرنا أنه لم يكن أحد من مستحقي الزكاة في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، لما جاءوا بأموال الزكاة، فقال: أنفقوها على الفقراء، فقالوا : ما عاد في أمة الإسلام فقراء!.

(4) الصوم:

الصوم لغة الإمساك والكف عن الشيء، وفي اصطلاح علماء الشرع : الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي وسائر المفطرات ، من الفجر إلى غروب الشمس ابتغاء مرضاة الله. الصوم عبادة سرية بين العبد وربّه ، وقد فرضه الله على عباده تطهيرا للقلب وقهرا للشيطان ومغفرة للذنوب والآثام وتقربا إلى الله عزوجل. والصيام ليست إمساكا عن الاكل والشرب فحسب، بل ينبغي الصائم أن يراعي حرمة الصيام لينال القبول والثواب من عند الله تعالى، لأن الله كلّفنا بترك المباح في الصيام من الأكل والشرب والاتصال الجنسي، فمن باب أولى أن نترك

المحرمات والمكروهات. ولذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم الصائم عن الوقوع في الأمور المنهي عنها. قال صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

أما الصيام المفروضة فهي في شهر رمضان فقط، وكذا تجب صيام القضاء وصيام النذر. ومن الصيام المستحبة صوم يوم عاشوراء وتاسعاء، وهو العاشر والتاسع من شهر محرم، وصوم يوم عرفة، وصوم يوم الإثنين، وصيام أيام البيض من كل شهر وغيرها. ومن الأيام المنهي عن الصيام يوم الشك ويوم الفطر ويوم النحر.

وللصوم حكم كثيرة وفوائد جمّة من الناحيتين الاجتماعية والفردية منها: العطف على المساكين، لأن الصائم عندما يجوع يتذكر عن حالة الضعفاء الذين يجوعون طول الدهر بالفقر والمجاعة، فيحمله على رحمة الفقراء والمساكين، والصيام طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ومتى تحققت رحمة الغني للفقير الجائع يصبح معنى الانسانية صادقا. ويهدف الصوم أيضا لإيجاد المساواة والإخاء بين الأغنياء والفقراء، لأنه إذا حلّ شهر رمضان يصوم فيه الغني والفقير والكبير والصغير والذكر والأنثى بلا تفریق بينهم، كأن الصوم فقر إجباري أفرضه الاسلام فرضا ليتساوى الجميع في الحوائج الضرورية، ليشعروا بها معنى الأخوة والانسانية.

ومن فوائدها الفردية والصحية أن كل عضو من أعضاء الجسم يستريح عند النوم إلا المعدة والقلب، فجعل الله الصيام راحة للقلب وراحة للمعدة لأن الصائم لا يحتاج إلى حركة تجهد القلب في عملية هضم الطعام. كما أن أكثر الأمراض سببه المعدة، ولذلك فإن الطبيب ينصح المريض بتقليل الأكل والشرب وترك بعض الأطعمة في معظم الأمراض. والخلاق العظيم الذي يعلم ظاهر الأمر وباطنه، شرع الصوم رحمة بهم ووقاية لهم من المحذورات. والإرادة القوية التي تحصل من الكف عن الأكل والشرب والابتعاد عن الشهوات هي من أعظم فائدة يفيد الصائم في حياته الدنيوية. ولكن الأمر الذي يجب الإشارة إليه هو أن روح الصوم وسره امتثال أوامر الله تعالى وطلب مرضاته فقط، والفوائد الأخرى ليست مقصودة بذاتها.

(5) الحج:

وهو لغة: القصد، يقال حج إلينا فلان أي قصدنا وقدم إلينا، وشرعا: القصد إلى مكة لأداء النسك بصفة مخصوصة في وقت مخصوص وبشروط مخصوصة. الحج ركن من أركان الإسلام، وهو من أهم العبادات وأكرم الطاعات كالصلاة والصوم والزكاة، ولكن الحج يخصّ بمكان خاص وزمن خاصّ وهو الكعبة المشرفة بمكة المكرمة يقصد إليها الحاج في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة. وأما سائر العبادات يستطيع أداءها من أي مكان حسب طاقة المؤمن. كما أن الحج يختلف من سائر العبادات بأنه يجب مرة واحدة في العمر وأما الصلاة فهي خمس مرات كل يوم والصوم في شهر رمضان كل سنة والزكاة مرة واحدة كل عام.

الحج هو الانقياد التام والابتهاال إلى الله تعالى بجميع قلبه وبدنه وماله قاصدا رضى الله تعالى تاركاً أهله ووطنه وسائر علاقاته الدنيوية، فيذلك قال صلى الله عليه وسلم: "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". يمحو الله به الخطايا ويظهره من الآثام والذنوب فيصير كيوم ولدته أمه.

والحج يجب على المستطيع ومعنى الاستطاعة : أن يقدر لأداء الحج ببذنه وماله وطريقه إلى مكة.

وأعمال الحج ترتبط بالاحرام من الميقات وطواف الكعبة المشرفة والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى ليالي أيام التشريق. وهذه الأماكن كلها مقدّسة وذات أهمية كبرى في تاريخ الإسلام لارتباطها بحياة الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وبحياة أبي البشر آدم عليه السلام يتذكرها الحاج والمعتمر عندما يؤدي مناسك الحج والعمرة.

والعمرة أيضا مثل الحج في وجوبها وفي مناسكها ولكن لا تختص بأشهر الحج وليس فيها الوقوف بعرفة ورمي الجمار. وقال صلى الله عليه وسلم "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" رواه البخاري ومسلم.

والحج أيضا عبادة توحى مشاعر المساواة والأخوة بين المسلمين في جميع أنحاء العالم، وإنهم يجتمعون في مركز واحد، في زي واحد، في صوت واحد، لا فرق بين عربي وعجمي، وغني وفقير، وهندي وأمريكي، وأبيض وأسود، وبين الحاكم والمحكوم، وبين لغة ولغة، كلهم يتجهون إلى مركز واحد قائلين "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". وهذه الأخوة والاجتماع العالمي لا ترى إلا في مناسك الحج.

والحج موسم ذهبي للمؤمن ليعرف عن أخيه المؤمن في بقعة أخرى من العالم ، وذلك لمعرفة أحوال عيشه وألامه وعاداته ولغاته وزيه وعمله كله، وللتعارف والتفاهم بينهم، وهذه المعرفة تمنح للمؤمن خبرة عظيمة وتجربة جديدة لتسيير حياته على ما يرضى الله تبارك وتعالى.

UNIT-II

MORAL VALUES IN ISLAM

القيم الأخلاقية في الإسلام

القيم الأخلاقية في الإسلام

Moral values in Islam

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا احتمالاً أنه قام مجتمع على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى خلقي وسلوكي فإنه لا بدّ أن ينهار قبل قيامه.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق الكريمة التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار الشامل.

مثلاً : كيف تكون الثقة بالعلوم والأخبار، وضمان الحقوق، في مجتمع لولا فضيلة الصدق لديهم؟، وكيف يكون التعايش والتعاون بين الناس في أمن واستقرار، لولا فضيلة الأمانة فيهم؟، وكيف تكون جماعة مؤهلة لبناء مجد عظيم في أمة، لولا فضيلة الشجاعة فيهم في رد عدوان الظالمين والمعتدين؟ وهكذا أمر كل فضيلة من الفضائل ومكارم الأخلاق.

لقد دلت التجربات الإنسانية، والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه. وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً ، صاعدين وهابطين.

وذلك لأن الأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاهد الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية، ومتى انعدمت هذه المعاهد أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكاناً لتعقد عليه، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الملايين في الأمة المنحلة، مزودة بقوة الأفراد فقط لا بقوة الجماعة.

من أجل ذلك كانت رسالة الانبياء ، الحث على الاخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشدداً على الاستمسك بها، لأنها هي التي تحقق الفوز في الحياة الدنيوية والأخروية. ونرى آيات كثيرة في القرآن تحث على تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل وتحرض على تحليتها بالأخلاق الفاضلة.

قال تعالى : (قد أفلح من زكيتها وقد خاب من دساها) وقال : (قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى). وإن بعثة النبي صلى عليه وسلم كانت لغرس الأخلاق الكريمة بين الناس حيث قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وقد وصف القرآن عن خلقه صلى الله عليه وسلم: (إنك لعلی خلق عظیم) وقال صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً".

وأحسن مثال لفهم القيم الانسانية التي دعا إليها الإسلام، خطبة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي ملك الحبشة والتي تشتمل موازنة طريفة بين مثل الجاهلية ومثل الإسلام، وهذا نصه:

أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليرثونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث.

ومن هذه الأمثلة يتضح جليا أن الأخلاق الكريمة هي دعامة الثقافة الاسلامية وحضارتها، وبها قامت دولة الإسلام واتسعت رقعتها ودخلت الأمم في دين الله أفواجا. ونورد هنا بعض هذه القيم الأخلاقية التي نادى بها الإسلام لتكوين مجتمع مثالي لم يكن له نظير في التاريخ.

الاحسان

الإحسان من كليات الأخلاق التي يمكن التعبير بها عن جميع الأخلاق الفاضلة ويندرج عنصر الإحسان في كل خلق كريم. مثلا التصدق إحسان إلى الفقراء، وإكرام الوالدين إحسان إليهما، والإخلاص إحسان إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحسان إلى الناس، والعفو والرحمة والعدل والصبر وغيرها من الفضائل كلها تدخل في باب الإحسان.

والإحسان في اللغة ضدّ الإساءة، وأحسنَ معناه فعلَ الحسن، والحسنة هي الفعل الحسن. والأفعال الحسنة تشمل كلّ خير، وكلّ معاملة ترقى وترفع من شأن الإنسانية وتهذب نفسيّة المرء وتقربّه من خالقه، وعلى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن في الدعوة إلى الاحسان والترغيب في إتيانه.

وإن تعاليم القرآن في الاحسان تشهد بأنه كتابٌ روحيّ يرتقي إلى أعظم مراقي السموّ، ويعلو على أيّ مذهب أخلاقي أو ديني، فقد عالج الاحسان بما يؤثر في الشخصية الانسانية من ناحية دوافع العمل، وشرح صفات المحسنين، وعيّن فئات من الناس هم أحق بالاحسان من

غيرهم، ودعا إلى الإحسان الذي يحقق للإنسانية المثل العليا التي لا زال يدعو إليها الفلاسفة ودعاة الإصلاح في العالم.

وقسم البعض الإحسان إلى نوعين: أحدهما: إحسان في عبادة الخالق: وهو الجدّ في القيام بحقوق الله على وجه الكمال، وذلك الذي جاء في جواب النبي صلعم لما سأله جبريل عليه السلام: ما الإحسان يا رسول الله، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فيكون العبد مخلصا في عبادته وفي طاعته، ومجتهدا في أن تكون عبادته على وجه الكمال خاليا من شوائب النقص والتقصير. وثانيهما: الإحسان في معاملة المخلوقين. هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق في هذا العالم، ولكنه يتفاوت هذا الإحسان كما وكيفا بتفاوت المحسن والمحسن إليهم، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك. فيدخل فيه نفع الناس بالمال والجسم، وبالقول والعمل، وغير ذلك من أنواع الإحسان حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوانات والنباتات والجمادات. ومما يدل على عظم قدر الإحسان وشموليته قوله صلعم فقال: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" أي إذا أردتم قتل الأعداء أو ذبح الحيوان، فعليكم أن تحسنوا في قتله وذبحه وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

المحسنون يشعرون بطمأنينة لا يشعر بها غيرهم، ويكفي ما يقابلون به من الذين يحسنون إليهم من الودّ والمحبة والتقدير مما يدخل السعادة إلى نفوسهم بينما الإساءة تجعل صاحبها منبوذا محتقرا لا يهنا له عيش ولا يقر له قرار. لهذا أمر الله بالإحسان وألحّ عليه بقوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:90]

فقد جعل القرآن فئات من الناس أحقّ بالإحسان إليهم من غيرهم لما بينهم وبين المحسن من رابطة الوالدين والقربى والجوار، أو لما فقدوا المعين والنصير في حياتهم، فكان الواجب المبادرة إلى الإحسان لهم. قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) النساء 36.

جمعت هذه الآية من أنواع الإحسان ما لو عمل به الناس لساد الخير فيهم، وتغمر في حياتهم السلامة والطمأنينة فلم يلبث أن يكون الأمة جميعا في سعادة من العيش ورخائها لما يقوم فيهم لمسات الرحمة والإحسان، وهذا خير عظيم أرشده الإسلام لتوثيق علاقة المحبة والإخوة والمساواة بين بني الإنسان.

الصبر

الصبر من الفضائل الخلقية، وهو النفحة الروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه، وتُدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، وتكون بلسما لجراحاته التي يتألم منها. فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراهها من عند الله، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيتمسك وجوه الخير فيما يبثله الله به من الشدائد.

ولولا الصبر لانهارت نفس الانسان من البلايا التي تنزل عليه، ولأصبح عاجزا عن السير في ركب الحياة، وأصبح في حالة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية، وبالتالي يصبح عنصر شرّ لا نفع منه.

ونستطيع أن نصف الصبر بحق أنه الفاصل بين الحياة الروحية والمادية. ولهذا عنى القرآن بالصبر ومدحه ورفع منزلته وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره حوالي سبعين مرة، ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار، وهذا يدل على عظم أمره لأنه أساس كثير من الفضائل، بل هو أمها لأنه يربي ملكات الخير في النفس، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه. مثلا:

فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد
والعفاف هو الصبر على الشهوات
والحلم هو الصبر على المثيرات
وستر العيوب هو الصبر على إفشاء الأسرار
وكظم الغيظ هو الصبر على إمساك اليد واللسان

لهذا كله أحب الله الصابرين، وأعلن في القرآن أنهم ينالون مزيدا من الفضل والرحمة في الدنيا والآخرة. ويخبر الله أن الصبر من الخصال العظيمة التي يجب أن يتصف بها المؤمنون (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور).

والصبر الذي دعا إليه القرآن هو ملكة الثبات والاحتمال التي تهوّن على صاحبها ما يلاقه في سبيل تأييد الحق، وإزالة الباطل، أو احتمال أذى الناس، وما يلاقه من مصاعب، كالفقر والمرض وفقد عزيز. وفي هذا الصبر العزاء للقلوب المكلومة، وفيه الشفاء للنفوس الحزينة، والنجاح في هذه الحياة. إنه من الصفات الروحية التي تجلب كثيرا من الخير للمعدّبين الذين يلتمسون الخلاص مما هم فيه.

ولقد كان صبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه هو القوة المعنوية التي انتصروا بها على قوى الشر المادية الظالمة وفي كل ما ينصح به الإسلام أتباعه. ونادى القرآن المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة في مواجهة الأعداء وفي مقابلة أزمات الحياة وشدائدها التي تتمثل في الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ثم يعد بالنصر ورفع الشدائد والأزمات لأولئك الصابرين. وهذه الشدائد وتلك الأزمات ما هي إلا ابتلاء من الله تعالى يمتحن به عباده ويمحص به قلوبهم ويرفع به درجاتهم.

تعدد المواضع التي تتطلب الصبر في حياة كل إنسان، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

- 1- الصبر على شهوات النفس: ومن طبيعة النفس أن تميل إلى ارتكاب المحرمات والمحظورات شرعا، كشرب الخمر والسرقه والزنا، وخاصة اذا اتفقت الأوضاع والظروف على ذلك ، وكف النفس عنها هو الصبر على الشهوات.
- 2- الصبر على الشدائد: يلاقي الإنسان في حياته كثيرا من المصائب والبليات، كالمرض والموت وتلف المال، فالمؤمن الصابر يمسك نفسه عن الجزع والهلع عليها.
- 3- الصبر على فتنة الناس: ربما يصل إلى المؤمن فتنة في دينه كالسب والشتم والغيبة والنميمة وغيرها ، فالمؤمن الصابر يتقي ربه ويكف نفسه عن الخوض فيها والرد عليها.
- 4- الصبر على الطاعات: تأبى النفس عادة عن عمل الطاعات وتكره عن الاشتغال بها، وفي تلك الحالة، المؤمن الصابر يكلف نفسه في عمل الخيرات (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

المؤاخاة

المؤاخاة أو الإخاء أو الأخوة من أروع القيم الإنسانية التي أسسها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، وهي التي تجعل المجتمع وحدة متماسكة، وهي قيمة لم توجد في أي مجتمع على وجه الكمال. والأخوة هي أن يعيش الناس في المجتمع متحابين ، مترابطين ، متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يحب بعضها بعضا، ويشد بعضها أزر بعض، يحس كل منها أن قوة أخيه قوة له، وأن ضعفه ضعف له، وأنه قليل بنفسه كثير بإخوانه.

وقد تضافرت النصوص على مكانة المؤاخاة في المجتمع الإسلامي وأثرها في بناء المجتمع المسلم، كما حثت على كل ما من شأنه تقويتها، ونهت عن كل ما من شأنه أن ينال منها. فقال تعالى مقورا علاقة الأخوة بالإيمان: إنما المؤمنون إخوة. وذلك دون اعتبار لجنس أو لون أو نسب، فاجتمع وتأخى بذلك سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي مع إخوانهم العرب.

كما وصف القرآن الكريم هذه الأخوة بأنها نعمة من الله إذ أشار فألف بين قلوبهم فأصبحتم بنعمة الله إخوانا. والرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، بدأ بعد بناء المسجد مباشرة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وفي هذه المؤاخاة يعرض أخ أنصاري على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها له.

ولدورها العظيم في تماسك بنيان المجتمع كان تحذير من الله واضحا جليا لكل عمل يوهن الأخوة الإسلامية، فحرم الله تعالى التكبر والسخرية، وحرّم التعريض بالعيوب والتفاخر بالأنساب كما حرّم الغيبة والنميمة وسوء الظن. وإذا ما حدث خصام أو مهاجرة، فإن الاسلام راح يرغب في كل ما يجمع القلوب ويدعم الوحدة ، وذلك بالدعوة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم معظما ومرغبا في ذلك: " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة!، قالوا بلى يا رسول الله قال: " إصلاح ذات البين". ورغب الرسول أيضا في إفشاء السلام إبقاء على هذه المحبة والأخوة.

ولأهمية الإخوة وضع الإسلام مجموعة من الحقوق والواجبات يلتزمها كل مسلم بمقتضى تلك العلاقة، ويكلف بها على أنها دين يحاسب عليه، وأمانة لا بد من أدائها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك: لا تحاسدوا ولا تتاجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً.

وهذه المؤاخاة البالغة إلى أعلى درجاتها، لا ترى إلا في المجتمع الإسلامي، فيعمل كل فرد على تفريغ ضوائق أخيه وحلّ مشكلاته، ويقف منه موقف العون والمساندة، لا موقف التحاسد والتباغض، ويكون ملتزماً بالإيجابية وعلى هذا تكون المؤاخاة أساساً وعنوان بناء وتماسك المجتمع الإسلامي.

التقوى

التقوى هي فضيلة أراد بها القرآن إحكام ما بين الإنسان والخلق، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه، ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر آيات القرآن الأخلاقية والاجتماعية، والمراد بها أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره.

فالتقوى في أصل معناها جعل النفس في وقاية، ولا تجعل النفس في وقاية إلا بالنسبة لما يخاف، فخوف الله أصلها، والخوف يستدعي العلم بالمخوف. فهذا العلم يستدعي الاتقاء من عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية ولا ينهى إلا عما يضرها، فهذا عرفوا التقوى بأنها 'إمتثال الأوامر واجتناب النواهي'. عرف علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى فقال: 'هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل'. وسأل عمر رضي الله عنه كعباً فقال له: ما التقوى؟ فقال كعب: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا فعلت؟ فقال عمر رضي الله عنه: أشمّر عن ساقِي، وأنظر إلى مواضع قدمي وأقدم قدماً وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى.

فالتقوى هي تشمير للطاعة، ونظر في الحلال والحرام، وورع من الزلل، ومخافة وخشية من الله سبحانه. وهي منبع الفضائل كلها، فالرحمة والوفاء والصدق والعدل والورع والبذل والعطاء كلها ثمرات من ثمار شجرة التقوى إذا أينعت في قلب المؤمن.

عنى القرآن الكريم بالتقوى عناية كبرى، وأكثر من الأمر وتوجيه النفوس إليها، وكانت له فيها أساليب مختلفة. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون) (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوني يا أولى الألباب) ومما يدلّ على خطورته وشدّة عنايته ما أوصى النبي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فقال له: أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء.

التقوى ليست من الأوصاف الظاهرة بل محلها القلب، ويظهر أثرها في الجوارح ، وقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم، وهو يشير إلى صدره "التقوى ههنا"، يقولها ثلاث مرات، ومعنى ذلك أن تقوى الله تعالى محلها القلب، فإذا اتقى القلب اتقت الجوارح، وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم" وتقوى القلب هي قاعدة السلوك الأخلاقي الصحيح.

ومن ثمرات التقوى التي ذكرها القرآن في مواضع مختلفة : النصر والتوفيق في الحياة الدنيا، والأمن من الخوف والحزن في الآخرة، والثواب العظيم والنعيم في الآخرة، ونيل رحمة الله تعالى في الأمور كلها، وتفريج الأزمات وحل المشكلات من حيث لا يحتسب، والنصر والفوز ضد الأعداء ، ونور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل ويرشد إلى اختيار طريق النجاة. حتى أن القرآن عَدَّ جميع خيرات الدنيا على التقوى يقول تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

الصدق

من أخلاق المؤمن الهامة الصدق والأمانة. الصدق يكون في القول والفعل والاعتقاد، فمن قال ما هو يوافق الواقع فهو صادق في قوله، ومن فعل ما يوافق الاعتقاد والواقع فهو صادق في فعله ومن اعتقد ما ثبت أنه حق فهو صادق في اعتقاده. فالصدق من مميزات الإيمان ومكملات الاسلام. قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

ليست هناك صفة تكفل استقرار المجتمع وتضمن الثقة بين الأفراد مثل الصدق، لذلك اعتبر أساساً من أسس الفضائل التي تبني عليها المجتمعات، وجعل عنواناً لرقى الأمم. وما فقدت هذه الصفة إلا حل محلها عدم الثقة وفقدان التعاون، فالصدق من ضرورات المجتمع وينبغي أن ينال حظاً عظيماً من العناية في الأسرة والمدرسة لأنه يحصل منه الخير الكثير، فيه ترد الحقوق، وبه يحصل الناس على الثقة فيما بينهم.

ومن أنواع الصدق الأمانة ، وهي من أرفع الصفات في الإنسان، ومن أقوى الدعائم التي يقوم عليها أي مجتمع سليم، ويحصل منها الخير، لهذا نرى الاسلام يعتبرها من صفات المؤمنين. قال الله تعالى: (والذين لأماناتهم وعهدهم راعون). وإذا انحلت رابطة الأمانة وفقدت الثقة بين الأفراد في أمة ما لبثت أن تسود الفوضى وتخوي على عروشها.

ومن أنواع الصدق أيضا صدق الوعد وهو من الصفات الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها الانسان لأنها سبب جوهرى من أسباب النجاح في هذه الحياة، وهي تعتبر اليوم من أبرز صفات القوم المتمدنين الذين يحرصون عليها أشد الحرص ، والقرآن دعا إلى هذه الصفة فقال الله تعالى يمدح نبيه إسماعيل عليه السلام بقوله: (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا). كفى بالصدق فضلا أن يكون من صفات الأنبياء.

والكذب هو ضد الصدق، وهو من الأخلاق الذميمة، والصدق يجعل الإنسان كريما عند الله وعند الناس، والكذب يجعله ذليلا عند الله وعند الناس، فلا يصدق الكاذب أحد وإن كان صادقا في بعض أقواله. وعدّ النبي صلى الله عليه وسلم الكذب علامة من علامات النفاق الثلاث، قال صلى الله عليه وسلم أيضا: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا.

وبذلك، من ثقافة المسلم أن يكون صادقا في حديثه ولا يخبر بخلاف الواقع ، وإن كان في أمر تافه أو خطير، مصدقا بقوله صلى الله عليه وسلم : قل الحق وإن كان مرأ، ولا يخبر بكل ما سمع فإنه أيضا يجر إلى الكذب والفساد، حيث أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع.

ومن ثقافة المسلم أيضا أن يكون صادقا في معاملته، فلا يغش ولا يخدع ، وهو يصدق بوعد فلا يخلف ولا يظهر خلاف ما يبطنه. مرّ رسول الله يوما على قدر طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا. فقال صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غشنا فليس منا.

إكرام الوالدين

الانسان مدني بطبعه، ولا يستطيع أن يعيش منفردا عن أسرته ومجتمعه وبيئته بغير علاقة ولا ترابط بينهم . وله حقوق وواجبات للمجتمع الذي يعيش فيه، كما لهم كذلك. ومن أهم هذه الواجبات إكرام الوالدين. وقد عدّها الاسلام من أهم وأعظم الواجبات على كل إنسان. ومما يدل على خطورته ما قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) قرن الله تعالى الإحسان للوالدين بالتوحيد كما أنه حق واجب بعد التوحيد.

وإن نظام الاسرة يقوم على الآباء والابناء، فإذا اختلفت الآباء والأبناء فيهدم نظام الأسرة فيفكك نظام الأسرة تبعاً له، فيوجد هناك فساد وفوضى فلهذا عنى الإسلام عناية كبيرة بإكرام الوالدين. لأن الأبوين أصل الأسرة، والأسرة جزء صغير من المجتمع، إذا لم يستقم أمر الاسرة فلا قيام هنا للمجتمع الذي هو شكل كامل للأسرة. فإن مبادئ الأخلاق تتكون من الأسرة التي هي مهد الحضارة والثقافة. فبذلك شرع الاسلام إكرام الوالدين من أساس الأخلاق الفاضلة.

والأبوان هما بذلا نفوسهما في تربية أولادهما منذ الولادة إلى أن يبلغوا أشدهم ، وأنفقا كل ما لديهما في سبيل مجدهم ومستقبلهم ، فلا يجوز أن ينسى الأبناء فضلهما عندما يكبران ويرجعان إلى الضعف والمرض. فعلى الأبناء برّ الوالدين والشكر لهما والطاعة لهما في كل ما يأمران به وينهيان عنه مما ليس فيه معصية للخالق ومخالفة للشريعة، كما يلزم عليه توقيرهما والإحسان إليهما وتعظيم شأنهما والخدمة لهما والدعاء في أمرهما . وكلّ هذا يشمل قوله تعالى: وإما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين من الكبائر المهلكات. قال صلى الله عليه وسلم: الكبائر الإشرار بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ويمين الغموص وشهادة الزور.

وفي هذه الأيام انقلبت الأمور رأسا على عقب، فقد جفت الرحمة والإكرام من القلوب، وصارت القلوب أشد من الحجارة، فالآباء يتركون الأولاد ، والأولاد لا يلتفتون إلى الآباء والأمهات، فيلتجئون إلى مأوى العجائز ومهد الأمهات المصطنعة، بل صارت الأحوال أشد من ذلك مما تستحيي منها العجاوات، الآباء يقتلون الأبناء، وكذا الأبناء يقتلون الآباء ويطرحونهم في الطرق والغابات، خوفا من العار وحرصا على المال.

التعاون

من أبرز مميزات الحياة الروحية التعاون على الخير للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع الذي يؤدي إلى رفاة المجموع والتخفيف من آلام الغير. وقد أدركت المدنية الحديثة ميزة التعاون فانتشرت فيها الجمعيات التعاونية حتى لا تكاد تخلو منها مدينة، وهي تعطينا الدليل القاطع على فوائد التعاون وضرورته لإسعاد الفرد والمجتمع .

ولقد كان لمبدأ التعاون حظه من العناية في القرآن الكريم فدعا إليه بهذه الآية التي تشتمل على أروع المعاني الروحية : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

من الحقائق الثابتة أن الإنسان مدني بطبعه، يعيش داخل جماعة ومجتمع وأمة، ويصعب عليه أن يعيش منفردا عن الناس. كما يصعب عليه أن يستقل بنفسه، في تحصيل مطالب الحياة، فهو بحاجة إلى المساعدة لأن القصور في طبعه، والعجز من شأنه. ولسد هذا القصور شرع الإسلام مبدأ التعاون والتكافل والمشاركة، لاسيما في حلّ المشكلات والأزمات الكبيرة: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (رواه البخاري). المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" (رواه مسلم) .

وإهمال مبدأ التعاون والتضامن، أدى إلى ظهور السلبية واللامبالاة، وعدم الإحساس الجماعي، بسبب النظرة الضيقة إلى مفهوم التعاون حيث أصبح الفرد لا يقتنع بالتعاون إلا إذا كان

على أساس الدفع أو المقابل وبشرط أن يكون في عمل دون آخر، ودخل في قلبه الأثرة والأثانية لا يأبه بشؤون الآخرين.

وإذا نظرنا إلى الإسلام وجدنا التعاون يمتدّ إلى آفاق واسعة، ويتسع ليشمل الجانب الروحي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فهو شامل شمول الإسلام، ولا يقتصر على جانب فائدة مادية فقط. بل التعاون يعني العطاء في كافة الاتجاهات وجميع الأحوال، وهو تقاسم خدمة عامة واشتراك الجميع للوصول إلى الهدف النبيل وأنبيل الأهداف، ما كان فيها حفظ للدين والنفس والعرض والمال والعقل مما يحقق الأمن والإيمان.

والتعاون هو أيضا الإحجام عن فعل الشرور، والأعمال السلبية، ومقاومتها خاصة العدوان الذي يسقط الكرامة الإنسانية. وفي بيان هذا المفهوم الحقيقي للتعاون قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان". ويأمرنا الإسلام بالعطاء، وإن لم يكن من ورائه مقابل مادي أو تحقيق مصلحة شخصية عاجلة "والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه" (رواه مسلم). ويدعونا إلى تقديم النفع بصرف النظر عن المنتفع "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه صدقة، ولا يرزؤه - ينقصه - أحد إلا كان له صدقة" (رواه مسلم). "من نَفَس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".

هذا هو التعاون الحقيقي الذي يبني المجتمع، ويحمي الأمة، ويقيم الشهادة. وهذا هو الذي يدعو إليه الاسلام، وبهذا التعاون الخالص الخالي عن الأثانية والأثرة، قام أول دولة إسلامية في المدينة، واقتدى بأثرها من جاءوا بعدها من الخلفاء والأئمة.

الرحمة

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق، وإن الله لا يحب شيئا مثلما يحب الرحمة والتواضع، ويكره شيئا مثل ما يكره القسوة والكبرياء. وقد ورد في الحديث الصحيح: " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". وليس الإنسان مأمورا برحمة النوع الإنساني فقط، بل هو مأمور بالرحمة لكل ذي روح. ولقد قال صلى الله عليه وسلم: " في كبد كل رطبة صدقة". وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل هرة حبستها كما في الحديث الصحيح، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل هرة ترحمها. وقد ورد " إن الله رحيم ، وإنما يرحم من عباده الرحماء"

وليس ذلك الحنان الذي نراه في قلوب الآباء والامهات في أفراد النوع الانساني وسائر أنواع الحيوان مما يسوقهم سوقا اضطراريا إلى تعهد الولد ومراعاته في كل ما يجب له، ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوما ضعيفا أو فقيرا بائسا، إلا أثرا من آثار تلك الرحمة الإلهية.

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة. وكل ذلك من آثار الرحمة الالهية التي قامت بها السماوات والأرض. نرى رحمة الله للإنسان في خلق السماوات والأرض وإنزال المطر وإنبات النباتات وتفجير الأنهار وتيسير الأنوار وخلق الليل والنهار وغيرها.

وبالجملة ، إنسانية الرجل على قدر ما فيه من الرحمة، وعلى قدر ما فيه من القسوة يكون بعيدا من الله ومنسلخا عن الإنسانية. وقد وصف القرآن عن القلوب القاسية إنها كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء. ومن كان بهذه الصفة فهو شقي في الدنيا والآخرة ، ممقوت لدى الله والناس.

لو تمت الرحمة في النفوس لما التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة، ولما فعلت بهم ما لا تفعله أقوى الحيوانات بأضعفها، على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشرافته. ولو تمت الرحمة في الأغنياء لما مقتهم الفقراء، ولو تمت الرحمة في القضاة لما تأخرت القضايا السنين الطوال. ولو تمت الرحمة لأشفق الإنسان على القريب والبعيد، ورحم على المبتلى والمعافي والإنسان وغير الإنسان. وفي الحديث الشريف لا تنزع الرحمة إلا من شقي. قَبِلَ الرسول صلى الله عليه وسلم مرة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ أحدا منهم، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم".

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج ، وإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملاً خفه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله تعالى فغفر له. قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر.

هذه هي أشكال الرحمة التي نادى بها الاسلام أن يتصف بها أصحابها، رحمة لا حدود فيها يشمل الإنسان والدواب وكل ذي حي. ولو اتصف بها الأمة لسادت العالم السلامة والراحة.

UNIT-III

SOCIAL CONCEPT OF ISLAM

الإسلام والحياة الاجتماعية

أ) الإسلام وحقوق الإنسان

Human Rights in Islam

قضية حقوق الإنسان ظفرت بأهمية كبرى في العصر الحديث، على مستوى الشعوب والدول والمنظمات الدولية. ويعدّ الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من شهر ديسمبر 1948م، أول ميثاق يكفل بحقوق الإنسان الفردية والاجتماعية والاقتصادية. وقد صدر الميثاق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة، تعبيراً عن الرغبة في وحدة البشرية، ووحدة حقوق الإنسان، في المجتمع الدولي، الذي قاسى من ويلات الحرب.

فالإسلام قد قرّر جميع الحقوق الإنسانية لمعتنقيها قبل أربعة عشر قرناً بالقرآن والسنة، وكانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي ألقاها في حجة الوداع بمثابة الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان. فلقد أرسى فيها مبادئ الرحمة والإنسانية، وأرسى دعائم السلم والسلام، وأقام أواصر المحبة والأخوة والمساواة، وهاجم ضد العنصرية والتمييز والفواحش المالية.

تعتبر الشريعة الإسلامية مصدر الحقوق كلها في الإسلام، ولا يوجد حقّ مقرّر للإنسان يخرج عن نصوصها أو قواعدها الكلية، وبذلك تكون الشريعة الإسلامية، هي أساس الحقّ ومصدره، وسنده وضمان وجوده والحفاظ عليه في المجتمع. أما في التصور الوضعي فإن الأمر على العكس من ذلك تماماً، لأن الحقّ فيه، هو أساس التشريع والقانون. مثلاً إذا ادعت جماعة حقّ الإباحية والحرية المطلقة فيكون ذلك الحقّ قانوناً وشرعاً لهم، فلا التفات هناك إلى القيم الأخلاقية والمعتقدات الدينية فيه.

فلنبحث عن حقوق الإنسان في الإسلام على أساس خطبة الرسول في حجة الوداع. لقد كانت خطبة الوداع التي ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة في موقف عرفة، لقاءً رائعاً بين أمة ورسولها، لخص فيه جميع الحقوق الإنسانية في كلمة جامعة مانعة، خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم، بل خاطب البشرية عامة، بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة في أمر دينها ودنياها. وهذه هي بعض البنود منها:

أ. حق الحياة:

لقد كرم الإسلام الإنسان على أنه إنسان من غير اعتبار إلى نسبه أو دينه أو بلده ، وله حق الحياة هنا أماناً مطمئناً من غير اعتداء على نفسه وماله وعرضه. وأول حق أرساه الرسول الكريم في خطبته هو حرمة الإنسان وكرامته. وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا). فإن الإسلام حرّم سفك دماء أخيه وانتهاك حرمة والمس على كرامته. وأكد القرآن حرمة الإنسان ونادى بحقن دمه ، فحرم وأد البنات وقتل الأولاد خشية الإملاق، وأوعد بالعذاب المقيم والغضب واللعنة لمن يزهد روح أخيه الإنسان، قال تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) وقرر القصاص والحدود والدية والجزية، حقنا للدماء وحقنا للأرواح ، والقصاص يضمن حياة الفرد في المجتمع ، ويدلّ عليه قوله تعالى: [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]. وكل ما يبرز معالم الإنسانية فيه، فلا يُعدي عليه بغير حق، ولا يعذب ولا يمثل به ولا يعرض لهوان يتنافى كرامة الإنسان. والحرب والسلم في ذلك سواء، فلا يؤخذ الخصم في الحرب على غرة، ولا ينكل به، ويعامل الأسير معاملة كريمة.

ب) حق الدين:

الدين حق لكل إنسان، فله حرية في أن يثبت في دين أبويه أو أن يعتنق بما ثبت عنده أنه حق. والإسلام لا يتدخل في دين الآخرين، كما قال تعالى (لكم دينكم ولي دين) بل يسعى دائماً لنشر تعاليمه وبث آراءه بالحكمة والموعظة الحسنة. ولا يستخدم الإسلام في هذا سبيل الإكراه والإجبار، بل يرشدهم إلى الحق على أنه واجب شرعي على كل مسلم. فإذا ارتضى إنسان ديناً فإن من حقه الاحتفاظ بما ارتضاه ولا يجبر ليتخلى عن دينه حتى يعتنق الإسلام كرهاً، لقول الله عزوجل: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).

ويمكن للذمي أن يعيش في المجتمع الإسلامي أماناً على نفسه وماله وعرضه، بل ويتمتع بالبر الإحسان، كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أعطى شيخاً من شيوخ أهل الذمة من بيت المال، لما رأى حاجته، وعجزه عن الكسب .

ولكن لا يجب الإسلام الارتداد عن الدين إذا اعتنقه، فيتعين له الثبات عليه، لأن المسلم يدخل في دين الله عن رضى وتصديق وفهم صادق على أنه حق، فلا موجب هنا للارتداد فيمنع الإسلام كل ما يسيئ سمعته وعظمته.

ج- حق التملك:

أعطى الإسلام للفرد حقَّ التملك في حيازة الأشياء، والانتفاع بها على وجه الاختصاص والتعيين؛ لأن ذلك من مقتضيات الفطرة ومن خصائص الحرية، بل من خصائص الإنسانية، وأيضاً لأن ذلك أقوى دافع لزيادة الإنتاج وتحسينه، وجعل الإسلام هذا الحقَّ قاعدة أساسية للاقتصاد الإسلامي، ثم رتبَّ عليه نتائج الطبيعية، في حفظه لصاحبه، وصيانته له عن النهب والسرقة والاختلاس، ونحوه، ووضع عقوبات رادعة لمن اعتدى عليه؛ ضمناً لهذا الحقِّ، ودفعاً لما يُهدد الفرد في حقه المشروع، كما أن الإسلام رتبَّ على هذا الحقِّ - أيضاً - نتائج الأخرى؛ وهي: حرّية التصرف فيه بالبيع، والشراء، والإجارة، والرهن، والهبة، والوصية، وغيرها من أنواع التعاملات المباحة.

غير أن الإسلام لم يترك التملك الفردي مطلقاً من غير قيد، ولكنه وضع له قيوداً كي لا يصدّم بحقوق الآخرين؛ كمنع الربا، والغش، والرشوة، والاحتكار، ونحو ذلك ممّا يصدّم ويُضيع مصلحة الجماعة. وأكد الرسول الكريم في خطبته جميع أنواع الظلم والجور الاقتصادي حيث قال: "فمن كان عنده أمانة فاليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون." وهذا الحق والحرية في كسب الحلال لا فرق فيه بين الرجل والمرأة؛ مصداقاً لقول الله: [لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمُ الْكُتُبُ وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمُ الْكُتُبُ].

د- حق المساواة :

تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلاً وحقاً أساسياً في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته، قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية والفارسية والرومانية؛ والهندية إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو دنائتها ورذيلتها، تبعاً لوضعها الاجتماعي. وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان لا يتيح للطبقة السفلى حق الانتقال، والمشى في طريق الطبقة العليا، ولا شرب المياه ولا مسّ أشياء الآخرين، حتى في هذا العصر الحديث تقوم هذه التفرقة بين بعض الطوائف.

فالإسلام كرم بني الإنسان وسوى بينهم وجعل الكرامة بينهم على أساس التقوى والعمل الصالح: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل، كالقوة والضعف، والموقع الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان، أو الجنس واللون. وأعلن الرسول في خطبته في حجة الوداع: { لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى } .

وبين النبي صلى الله عليه وسلم معنى المساواة، حين شفع وجهاء من القوم، في إعفاء امرأة شريفة وجب عليها حد السرقة، حتى لا توقع عليها العقوبة، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ونبه إلى عدم جواز الشفاعة في حدود الله؛ لأن ذلك يخل بمبدأ المساواة بين الناس، ويؤدي إلى إثارة نوي الوجاهة بإعفائهم من العقاب، مع إقامة الحدود على ضعفاء الناس، وبين الرسول الكريم أن ذلك الأمر إذا ساد في مجتمع أدى به إلى الزوال، فقال: { إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد } ويعيب الرسول الكريم على أحد أصحابه الملازمين له على الحب والتلقي منه، أنه عير صاحباً له بلونه، فحين عير أبو ذر الغفاري بلالا بلونه الأسود، غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال للصحابي الجليل: { إنك امرؤ فيك جاهلية } وأقامت الشريعة الإسلامية أصل المساواة في أحكامها، على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرفي الإنسان، وتحصيل مصالح الحياة.

هـ - حقوق المرأة:

الإسلام هو الدين الوحيد الذي قرّر حقوق المرأة باعتبار ظروفها الطبيعية والنفسية والجسدية.

خاطب الإسلام المرأة كما خاطب الرجل، وسوى بينهما تسوية تكاد تكون تامة. لها ما له من حقوق، وعليها ما عليه من واجبات. ونهى نهياً باتاً عن وأدها وكان شائعاً في الجاهلية. وعلى المرأة أن تصلي وتصوم، وأن تزكي وتحج، وهي ترث وتورث، وتثاب كما يثاب الرجل، ويعاقب كما يعاقب. يقول تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا). ومتى بلغت سن الرشد لا يعمل شيئاً إلا برضاها، فلا ترغم على زواج، ولا تكره على بيع أو شراء. وحقوقها المالية مكتملة وهي في الإسلام أسبق وأرقى من أي تشريع حديث.

المرأة لها حق التعلم والتعليم والإفتاء في بعض المسائل الدينية. وتساهم المرأة المسلمة أيضاً في الشؤون العامة، فتضطلع بأعبائها، فتوجه الرأي، وتشارك في الحروب يداوين الجرحى، ويسقين العطشى، ويطعمن الجياع، ويمارسن القتال أحياناً. ومن حقها العمل إذا احتاجت إليه، أو احتاج العمل إليها، كما في بعض المهن والأعمال المناسبة لها، وفق ضوابط الشرع.

فإذا كان من حق الرجل الطلاق، فإن من حق المرأة الخروج من زوجية تضرها. بشروط معينة. ولها الحق في طلب التطلق إذا أضررت من زوجها، الذي لا يكون أميناً عليها. وقد حذر الرسول في خطبة الوداع عن سلب حقوق النساء وإيذائهن حيث قال: أيها الناس! فإن لكم على نساءكم حقاً، ولهن عليكم حقاً. واستوصوا بالنساء خيراً فإنهم عوان عندكم، وإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله)

وهذه هي بعض الحقوق المهمة التي منحها الإسلام لأصحابها ولها فروع وشعوب كثيرة من حقوق سياسية واقتصادية وأسرية ودينية، لم يمنحها ولم يضبطها أي نظام سوى الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية الفردية.

ب - المرأة في الإسلام

Woman in Islam

لقد أعطى الإسلام المرأة مكانة تليق بحالتها النفسية والبدنية والاجتماعية ورفعها إلى أعلى درجاتها وجعلها في موقع محترم في المجتمع الانساني ، وهذه المكانة تظهر عندما نقارن مكانتها في الحضارات والأديان قبل الاسلام.

وكانت المرأة في الحضارة اليونانية مسلوقة الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية، وكانت تحل في المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق، قليل النواذ محروس الأبواب. وينظر إليها كما ينظر إلى الرقيق، ويرون أنّ عقلها لا يعتد به، وفي ذلك يقول فيلسوفهم (أرسطو): " إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتد به " .

وفي الحضارة الرومانية سلب عن المرأة معظم حقوقها، فقبل الزواج تكون ملكاً لرب الأسرة، له الحق في قتلها، وبيعها، والمعاملة بها كالأمّعة، وبعد الزواج يحلّ زوجها مكان والدها في جميع حقوقه، وهي لا ترث عندهم، لأنها ليست لها حرية التصرف.

وفي حضارة الفرس والمجوس كانت مسلوقة الحقوق كذلك، وكانت من ممتلكات الزوج، وله أن يقتلها، أو يتفضل عليها بالحياة، إن شاء، ويرون أنها نجسة، وأنها تنجس كل ما مسته يدها في حال حيضها ونفاسها، فيضعونها في خيمة صغيرة بعيدة عن بيوتهم، وعلى الخادم إذا أرسل ليعطيها طعامها أن يلف مقدم وجهه ويديه خشية أن يتنجس.

وفي حضارة الهند كانوا ينكرون إنسانية المرأة، لذلك حكموا عليها بأنها ليس لها حق إجراء أمر وفق رغبتها، وتكون ملكاً لأبيها ثم لزوجها، ويجب عليها أن تعامله كما تعامل الآلهة ، لأنّ الزوج عندهم ممثل الآلهة، وليست لها حياة مستقلة عن حياة الزوج، فإنها مقضي عليها بأن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه على موقد واحد، وتعرف هذه التقاليد باسم " ستي". وكانت لديهم تعدد الأزواج يتناوبون معها في الحياة الزوجية، وكان للرجل علاقة أكثر من امرأة واحدة بدون نكاح، كما لم يكن لبعضهن الحق في ستر صدرها ومعظم جسدها.

المرأة قبل الاسلام في الجاهلية:

وبين الله تعالى في القرآن الكريم حالة المرأة قبل الاسلام، حيث قال : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من السوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) كانوا يئدون البنات عارا منها ولا ترث المرأة ويمتكونها كالبضائع، ويتصرفون فيها كالأمّعة في البيع والشراء والقتل والخدمة. ولم يكن للزوجات عدد معين ، وقد يتزوج الرجل أكثر من عشرة.

ولقد جاء الإسلام فأعطى المرأة حقها في الحياة وأنكر جميع أشكال العدوان والإهانة عليها فحرم وأدها أو قتلها كما حرم امتهان كرامتها، وجعلها إنسانا فاعلا في المجتمع لها لها كرامتها ومكانتها، ولها أهميتها ورسالتها في الحياة.

أعطى الإسلام المرأة حقها في الحياة وحقها في الميراث وفي المهر وفي النفقة وفي المسكن والمطعم والملبس وأعطاهما سائر الحقوق كحق التعلم، وحق التملك وحق البيع والشراء والعمل بضوابط تحفظ لها كرامتها وعفافها دون امتهان أو شطط. فصارت ذات اهتمام في الحياة الاجتماعية. وفي رحاب الإسلام عاشت المرأة حياة كريمة محترمة فهي الأم والزوجة والبنات والأخت والعمة والخالة والجدة.

وقد فصلت السنة النبوية حقوق المرأة وواجباتها، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ألا إن لكم على نساءكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن".

وقررت السنة النبوية حق المرأة في التعلم والتعليم بل جعل التعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وتقول عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. وقد اشتهرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالرواية والفقه والفتيا والتاريخ والنسب ورواية الشعر والطب وعلم النجوم، حتى لقد قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء". وكذا أسماء بنت أبي بكر وأم عبد الله بن الزبير التي اشتهرت برواية الحديث.

وأشار الرسول أن خيار الخلق من يكرمون زوجاتهم ، حيث قال: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم خياركم لنسائهم". منح الإسلام للمرأة حق الميراث وحق التملك وحق الصداق وجعل لها أهليتها في التعاقد وفي إجراء العقود .

وسوى الإسلام بين الرجل والمرأة في شئون المسؤولية والجزاء والثواب والعقاب بمعنى أن المرأة التي تعمل صالحا وهي مؤمنة لها جزاؤها في الدنيا وفي الآخرة ، كما قال الله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال : (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وسوى بينهم في الحدود وفي سائر أنواع الجزاء والعقوبات .

ولما كان للأسرة في الإسلام أهمية بالغة بكونها دعامة المجتمع وأساسها، فقد عنى الإسلام عناية خاصة بشئون الأسرة وجعلها ربة البيت وشرع لها قوانين تستقيم بها شئون الأسرة.

ومن الانتقادات التي توجه ضد حقوق المرأة في الإسلام، مسألة تعدد الزوجات والحجاب والميراث والحرية المطلقة. فمسألة تعدد الزوجات ليست مباحة على الإطلاق بل وضع لها الإسلام شروطا وقواعد يجب على الزوج اتباعها، ومن لم يستطع أن يستوفي بها فواحدة كما قال تعالى: (فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة)، ومع ذلك فإن طبيعة الانسان وضرورة الحياة المترامية تتطلب أن يتعهد الرجل أكثر من واحدة من النساء، وهذا النظام أحسن وأعفّ من القوانين

الوضعية التي تلزم زوجة واحدة قانونياً، وتبيح حياة جنسية بأكثر من واحدة مما يؤدي إلى الفوضى وهدم نظام الأسرة وانتشار الأمراض التناسلية الوبائية.

أما الحجاب فلا يمنع الحرية التي تتمتع بها النساء في حياتهنّ، ولا يعوق عن العمل الذي يؤديه المرأة في المجتمع، بل يعطيها الأمن والسلامة والثقة بنفسها ويقيها عن أيدي الفساق والفجرة. والسفور وعرض العورة تؤدي إلى عواقب سيئة لا تحصى عددها.

في نظر الإسلام أن الرجل هو قيّم الأسرة، وعلى عاتقه أعباء الأسرة من مطعم وملبس ومسكن وكذا سائر النفقات الضرورية، فلا حاجة للزوجة أن ينفق من مالها في حضور الزوج، فوضع الإسلام الميراث على قدر 'للرجل مثل حظ الأنثيين'.

الإسلام هو دين الطبيعة، يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته، ومعلوم أن طبيعة الرجل والمرأة ليست سواء في التفكير والعمل والقوة والعاطفة والشعور وغيرها، فكيف يتفق الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات التي وكل إليهما؟ ولذا، اعتبر الإسلام فطرة الرجل والمرأة ونزل كل واحد منهما منزلة تستحق بفطرته، لا يرى هذا الاتفاق في سائر الأديان والمذاهب.

ج) الميراث في الإسلام

Law of inheritance in Islam

أعطى الإسلام الميراث اهتماماً كبيراً، وعمل على تحديد الورثة، أو من لهم الحق في تركة الميت، ليبطل بذلك ما كان يفعله العرب قبل الإسلام من توريث الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار، فجاء الإسلام ليبطل ذلك لما فيه من ظلم وجور، وحدد لكل مستحق في التركة حقه، فقال سبحانه: {يوصكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبواؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً}

وللإرث في الإسلام ثلاث أركان : الأول: الموروث، وهو الشخص المتوفى، والثاني : الوارث، هو الشخص الحي الذي يحق له الحصول على الميراث ، والثالث: التركة ، وهي ما تركه الموروث من ماله.

مزايا إرث الإسلام:

والميراث تشريع مالي له أهداف اقتصادية ونفسية واجتماعية تساعد على تقوية أواصر الأسرة، وشدّ الرابطة بين أفرادها، وقانون الإرث في الإسلام يحقق للأسرة والمجتمع أهدافاً كثيرة، أهمها:

أ- يساعد على تقوية أواصر الود والمحبة بين الأب وأبنائه وزوجته وأفراد أسرته، فالموروث يشعر أنهم يرثون جهده وماله، والوارثون يشعرون بأنه صاحب الفضل الذي يترك لهم مالا يعينهم على سدّ حوائجهم.

ب- يساعد قانون الارث على ضبط موازنة التوزيع الاقتصادي، وتقسيم الثروة التي يملكها فرد بين مجموعة من الأفراد، بشكل يساعد على إلغاء التضخم المالي من جهة، ومكافحة الفقر والحاجة من جهة أخرى.

ج - قانون الارث يشجع الأفراد على الإنتاج ومضاعفة الجهد، لأن الفرد في هذه الحالة يؤمن بأن أقرب الناس إلى نفسه وأحبهم إليه، هم الذين يرثونه، بل يحرص على أن يوفر لهم حاجاتهم ويضمن لهم مستقبلهم، خصوصا إذا كانوا صغارا لا يستطيعون الكسب.

د- إن عدالة توزيع الميراث بين أقرباء الميت، تشعر الجميع رجالا ونساء بالمساواة، وتبعد روح الحقد والكراهية ، وتحقق العدالة القانونية والأخلاقية بافضل صورها.

وقف الإسلام موقفاً وسطاً بين الاشتراكية الشيوعية ، وبين الرأسمالية والمذاهب التي تقوم بحرية التملك ، فالاشتراكية تنكر مبدأ الإرث ، وتعتبره ظلماً يتنافى مع مبادئ العدالة ، فلا تعطي أبناء الميت وأقرباءه شيئاً مطلقاً، والرأسمالية وما شابهها من المذاهب الاقتصادية تترك الحرية كاملة للرجل يتصرف في ماله كما يشاء دون ضوابط ، فله أن يحرم أقرباءه كلهم من الميراث، وله أن يوصي بماله إلى غريب من صديق أو خادم ، وله أن يوصي بماله إلى كلب أو قط لا يعقل أو إلى البغايا وأندية الميسر ، وما يشبه ذلك من الوصايا الغريبة .

أما الإسلام فقد أعطى للإنسان الحرية في أن يتصرف في ثلث ماله فقط، فله أن يوصي أو يهب في حدود ثلث، يوصي به لمن يشاء على أن يكون لجهة خير، أو لمن ينتفعون به ، ولا تجوز الوصية إلى جهة محرمة ، ولا إلى مثل الكلاب والقطط والخيول ، أما الثلثان الآخران فهما لأقربائه، أو من تربطه بهم صلة قوية كالأقرباء وذوي الأرحام . ، وهو حق طبيعي لهم لا يملك المورث التصرف فيه ولا منعهم منه ، وبذلك يكون الإسلام قد حفظ حق الورثة في حياة صاحب المال ، فبمجرد نزول مرض الموت بالإنسان فليس له أن يتصرف تصرفاً يضر بالورثة أو يفوت عليهم حقه . عن عامر بن سعد عن أبيه قال: " اشتكيت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، حتى إذا أدنفت فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت : يا رسول الله ما أراني إلا ألم بي ، وأنا ذو مالٍ كثير ، وإنما يرثني ابنة لي ، أفأتصدق بمالي كله ؟ قال : " لا " قلت : فنصفه؟ قال " لا " قلت : فالثلث ، قال : " الثلث والثلث كثير ، إنك إن تترك ورتك أغنياء خير من أن تتركهم فقراء يتكفون الناس بأيديهم ، وإنك لا تنفق نفقة إلا أجرك الله فيها حتى ما تجعل في امرأتك " .

ومن أحكام ميراث الإسلام:

1- لا يسمح الرجل أن يترك وارثيه فقراء، فلا يجوز لأحد أن يتصدق بماله كله قبل موته مريداً لمنع وراثته عن الإرث، فلا يصح إلا التصديق بثلث ماله. كذلك اشترط الإسلام في صحة الوصية أن لا يقصد بها مضارة الورثة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " "

" إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار "

2- تولى الخالق بنفسه بيان المستحقين لتركه الميت ، واستأثر بتوزيع التركة على هؤلاء المستحقين ، ولم يترك شيئاً من هذا الأمر لصاحب المال ، فليس لصاحب المال حق في تعيين الوارثين ، ولا تحديد أنصبتهم ، بل كل ذلك لله تعالى لعلمه بأن الإنسان قد يغلب عليه الهوى ، أو يقع تحت تأثير عاطفة جامحة، أو مؤثرات عارضة ، فيجيف في حكمه بحرمان بعض الورثة، أو بإيثار بعضهم بزيادة على الآخرين مما تأباه الشريعة الغراء.

3- جعل الإسلام الميراث محصوراً في دائرة الأسرة لا يتعداها ، فلا بد من نسب صحيح أو زوجية قائمة ، والولاء يشبه صلة النسب فكان ملحقاً به، وهؤلاء هم أكثر الناس صلة بالميت، وأشدهم تعاوناً معه. فالإسلام قد جعل الأساس في تقديم بعض الورثة على بعض قوة القرابة ، واتصال المنافع بين الوارث والمورث.

4- نظام الميراث الإسلامي قدر نصيب الوارثين بالفروض - السهام المقدرة - كالثمن والربع والنصف والسدس والثلث والثلثين ، ما عدا العصابات حيث أنهم يرثون ما يفضل عن أصحاب الفروض ، ولا مثل لهذا في الشرائع القديمة والحديثة ، بل هو نظام الإسلام الدقيق.

5- نظام الميراث في الإسلام يحول دون تجمع الثروة في يد واحدة على حساب الآخرين ، وهذا بدوره يؤدي إلى تفتيت الثروة وتوزيعها بين أكبر عدد ممكن من الناس المستحقين.

6- نظام الميراث الإسلامي عمل على حماية المستضعفين من النساء والأطفال ، فجعل للمرأة نصيباً في الإرث ، فالأم والبنت والزوجة والأخت ، وغيرهن لهن نصيب من مال الميت، يحفظ حياتهن وكرامتهن من الفقر والضياع. وكذلك جعل للطفل الصغير والحمل في بطن أمه نصيباً مثل الكبير.

7- جعل الإسلام الزوجية الصحيحة من أسباب الإرث ، فالزوجة ترث من زوجها ، والزوج يرث من زوجته ، وفي ذلك احترام للرابطة الزوجية ، وتقوية لأواصرها حتى تؤتي ثمارها ، وتظهر المودة والرحمة والتعاطف بين الزوجين.

8- نظام الميراث الإسلامي جعل الحاجة أساس التفاضل في الميراث ، ولهذا جعل نصيب البنت نصف نصيب أخيها الذكر، لأن حاجته إلى المال أكثر من حاجتها إليه ، ومطالب الحياة وتبعاتها بالنسبة إليه أكثر منها بالنسبة للبنت، فهي لا تكلف في الحياة ببعض ما يكلف به أخوها ، فنفتتها على أبيها ما دامت في بيته، فإذا انتقلت إلى بيت زوجها فنفتتها عليه ، وهكذا

نراها مكفولة النفقة في جميع مراحل حياتها ، فما تأخذه من مال من المهر أو الميراث يكون مالا محفوظا لا يتعرض للنقصان إلا في بعض الحالات الاضطرارية.

فنظام الميراث الإسلامي هو النظام الأمثل بين الأنظمة المختلفة ، من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والخلقية، يحفظ حق كل طرف دون إفراط، وكيف لا يكون كذلك وهو شريعة رب العالمين الخاتمة لأهل الأرض أجمعين.

(د) نظام الاقتصاد في الاسلام

Economic system in Isalm

الاسلام طريقة كاملة للحياة، ولم يترك الإسلام جانبا من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد بين مواقف المؤمن فيه، وأحكام الله وتوجيهاته تعالى يشمل جميع مجالات الحياة. فبذلك وجه الإسلام إرشادات مفصلة لحياتنا الاقتصادية ، حتى تكون الحياة على الاتزان والصحة. الثروة في نظر الاسلام في ملك الله تعالى فإنه يؤتيها من يشاء من عباده ليختبر كيف يعملون وليس المال على قدر الطاعة والمعصية أعطاه لمن يريد ليتصرف فيه حسب أوامره وإرشاداته، حتى يتمكن تأسيس مجتمع عادل يتصرف فيه كل شخص بمسؤولية وأمانة. المبادئ الأساسية للاقتصاد الاسلامي كما يلي:

تحريم الربا:

الاسلام يمنع منعاً باتاً جميع الأرباح المالية بطريقة استغلالية، فإن الربا أخذ مال الغير بلا عوض ولا فائدة، وهو يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك يؤدي إلى انقطاع منافع الخلق. ومصالح العباد لا تنتظم إلا بالكسب من التجارة والصناعة والزراعة، وإن الربا يعطل ذلك كله. قال الله تعالى : (أحل الله البيع وحرم الربا) وقال صلى الله عليه وسلم : لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه. وإن الربا أيضا يقطع المعروف بين الناس فلا يقرض أحد أحدا إلا بالربا ولا يواسي أحد أحدا إلا بالربا. ويجعل الربا المقرض غنيا والمستقرض فقيرا معدما.

تحريض الزكاة والصدقة:

الاسلام جعل على أصحاب الأموال قدرا معلوما يوزعونه على الفقراء والمساكين وجوبا يسمى في اصطلاح الشرع 'الزكاة'. فإن الزكاة تساعد على محو الفقر والمسكنة من المجتمع وتؤيد أوامر الإخاء والمحبة بين الناس كما أنها تزكية للأموال والأبدان. قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم) . وفوق ذلك يحرض الاسلام على الصدقة والمعروف إلى المحتاجين في جميع الأحوال سواء كان غنيا أو فقيرا لأن العون والمساعدة من أهم الواجبات في تكوين مجتمع صالح. قال صلى الله عليه وسلم : " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".

تحريم الغش والخداع:

الاسلام يمنع جميع المفاسد المالية من الغش والخداع والسرقة والغصب والسلب والنهب وغير ذلك لا يقبل الله إلا الطيب، فيجب على المسلم أن يكتسب بطريقة شرعية لا غش فيها ولا خداع. وما نبت من الحرام فالنار أولى به.

تحريم الميسر ويانصيب:

كذلك حرم الاسلام إنفاق المال فيما لا يعرف عاقبته، فإن الميسر أخذ مال الغير بخداع لأن الرابح يحصل على المال بغير كسب ولا كدّ على حساب خسران الغير وكساده، فهو مال حرام لا يجوز أكله. وفي يا نصيب، كلّ من يشترك فيه يرغب نيل المبلغ الموعود له دون غيره، فيخدع به فيجمعه واحد منهم، ولا شك أن كل عمل يتعلق به من البيع والشراء والوكالة محرّم شرعاً.

منح الملكية الفردية:

الاسلام يمنح الملكية الفردية لأنها تشجيع الاشخاص في إنفاق الاموال في وجوه الخير ويوفر له الراحة والسلامة والأمن في حياته ويعطي له فرصة للتصرف في الأموال على ما يشاء بمراعاة قواعد الشريعة.

تشجيع المعاملات:

يشجع الاسلام جميع المعاملات المالية من التجارة والزراعة والبيع والشراء والرهن والإجارة والهبة والوقف والقرض وغيرها مما يحتاج إليها الانسان لتنمته المالية ولحياته السعيدة.

تحريم الاسراف والتبذير:

كما أن الاسلام ينكر الاسراف والتبذير في الاموال، وإن كان في وجوه جائزة كاللباس والمطعم والمسكن، وفي مناسبات الأفراح والأعياد والولائم، لأنها تضييع الأموال فيما لا يحتاج إليها وهي أيضا منع حق الفقراء والمساكين فيها. وهذه هي بعض مبادئ الاسلام في مجال الاقتصاد والمعاملات المالية، وهو نظام متقن يوفر للفرد والمجتمع حرية التعامل ويبعد كل البعد عن جميع أنواع الاستغلال والفساد.

هـ (الرق في نظر الاسلام**Slavery in the view of Islam**

الرقّ معناه جعل الانسان رقيقاً مملوكاً، يستعبده المالك أو السيد ويملكه ويتصرّف فيه كالأمّنة أو يكلفه على عمل شاق بدون أجر. وقد عرفت ظاهرة الاستعباد للآخرين على أوسع نطاق ممكن في جميع الحضارات والأمم السابقة على الإسلام، وكان رؤساء الأديان يعتبرونه قضاء عادلاً من الله تعالى، ويأمرون العبد بطاعة السيد، والاخلاص له، كما يطيع ربه، ولو لم يكن على دينه. فالرومان والإغريق والفرس والهنود واليهود والنصارى، وكل هؤلاء كانوا يبيحون الاسترقاق ويتخذون الناس عبيداً. فالرق كان موجوداً لدى الفراعنة، إذ كان الملوك

والكهنة وقواد الجيش المصري القديم يتخذون أسرى الحرب عبيدا لهم، يستخدمونهم من أعمال، كشقّ الترع وبناء الجسور والأهرام. وفي بلاد فارس كان الأرقاء يتخذون للرعي والزراعة وبناء البيوت. كان لدى الهنود القدماء طبقات أعلاها: طبقة الأشراف وهم البراهمة، وأدناها طبقة العمال، فهي الطبقة الدنيا التي تستخدم في الأعمال، وتعامل معاملة بشعة. وللطبقة الأولى السيادة والسيطرة، وعلى الطبقة الثانية - وهي طبقة الأرقاء - الطاعة والخضوع. وكان الفقراء من الصينيين القدماء يبيعون أبناءهم وبناتهم لشدة فقرهم وحاجتهم، وكان للسيد الحق في بيع من لديه من الأرقاء وأولادهم. وفي الإغريق كانت طبقات ثلاث: طبقة المواطنين وطبقة الغرباء وطبقة العبيد. وكان العبيد أكثر عدد السكان وهم إما أسرى حرب، أو ضحايا غارات الاسترقاق، أو أطفال مهملون أو أناس مجرمون. وكان ثلاثة أرباع سكان الامبراطورية الرومانية من الرقيق، وكانوا يحصلون عادة على الأرقاء من أسرى الحروب، وأولاد العبيد، وأولاد الأحرار الذين حكم عليهم القانون بأن يكونوا عبيدا. وهؤلاء العبيد كانوا يلاقون أشد أنواع التنكيل والتعذيب والإذلال في هذه الحضارات كلها.

ولم يختلف الحال لدى العرب قبل الإسلام عن غيرهم من الأمم في ميدان الرق. فقد كان مألوفاً أن تتخذ القبائل المنتصرة، القبائل المهزومة عبيدا وجواري. وكان بعض مشاهير مكة مثل عبد الله بن جدعان من تجار الرقيق. وتذكر التاريخ أن عددا من مشاهير الصحابة كانوا عبيدا قبل الإسلام، منهم زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي اختطف وهو صغير، وباعه الخطافون في سوق عكاظ حيث اشتراه أحد أقارب السيدة خديجة رضي الله عنها، وكذلك اختطف بعض قطاع الطرق سلمان الفارسي رضي الله عنه أثناء رحلته إلى الشام، وباعوه لبعض يهود يثرب قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بلال بن رباح وعمار بن ياسر وأهلها عبيدا بمكة المكرمة قبل الإسلام.

وإن الرق ليس نظاما مهجورا في العصور الحديثة أيضا، بل الممنوع بيع وشراء العبيد فقط، والمعاملات الوحشية بالأسرى قائمة في العصر الحديث في البلدان القوية والمسيطرة أشد من الجاهلية، وهم يسترقون البلاد الفقيرة بالقوة والسلاح والحصار ومنع الغذاء وضروريات الحياة. ونسمع أخبار التعذيب والتنكيل والممارسات الهمجية والوحشية بالأسرى من معتقلات الأمريكية بأسارى العراق، وفلسطين، وليبيا، وسيبقى ما بقيت الحروب والمهاجمات. فأسير اليوم هو رقيق الأمم بعينه، يسخره الأسرون ويجردونه من الحقوق المدنية بينهم، ويعطونه من القوت ما يمسك الرمق أو يعينه على خدمتهم. ولا تفك عنه هذه القيود حتى يموت من السجن أو يطلق سراحه.

فلما ظهر الإسلام جمع لديه كثير من أسارى الحرب، فجاء ببيان أساليب العتق بدل البحث عن طرق الاسترقاق والاستعباد، وشرع الإسلام وسائل عدة يتحرر بها الرقيق، منها:

1- العتق لوجه الله تعالى: وذلك أن السيد يعتق من في يده من الرقيق بدون مقابل و بقصد الأجر و المثوبة من الله فقد قال الله (و ما أدراك ما العتبة فك رتبة). روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله فقال يا رسول الله علمني عملا يُدخلني الجنة فقال

- صلى الله عليه وسلم (أعتق النسمة و فك الرقبة) فقال الأعرابي يا رسول الله أليسوا واحدة؟ قال : لا ، إن عتق النسمة أن تنفرد بعقتها ، و عتق الرقبة أن تُعين في عقتها.
- 2- العتق بالكفارات : فقد نص القرآن في مناسبات كثيرة على تحرير الرقيق باعتباره كفارة لما يرتكبه المسلم من مخالفات شرعية لأحكام الله و نظرا لكثرة المخالفات في الحياة اليومية وإلى سعي المسلم على أداء الكفارة عن تلك المخالفات فإنه يسعى إلى تحرير الرقيق ومن ذلك :
- كفارة قتل المؤمن خطأ: (و من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة و دية مسلمة إلى أهله) (النساء 92)
- كفارة حنث اليمين (و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) (المائدة 89).
- كفارة الظهار – أن يقول الرجل لزوجته أنت حرام عليّ كظهر أمي فتحرم عليه بهذا اللفظ – إذا تلفظ به المسلم ثم رجع عنه (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ..) (المجادلة 3).
- كفارة نقض صوم رمضان بالجماع كما جاء في الحديث النبوي.
- 3- العتق بالمكاتبة : هو قرار يطلب فيه الرقيق العتق بمقابل يدفعه إلى سيّده (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا) (النور 33)
- 4- العتق بكفالة الدولة : وقر التشريع الإسلامي جزءا مخصصا من أموال الزكاة لغرض تحرير الأرقاء فقال تعالى (إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم) (التوبة 60)
- 5- العتق بأم الولد : و يكون هذا في حالة معاشرة السيد لمملوكته و إنجاب ولد منها فتصبح بذلك أم الولد و في هذه الحالة لا يجوز للسيد أن يبيعهها و إذا مات و لم يعتقها في حياته فإنها تصبح حرة بعد مماته مباشرة و يُحرر معها ولدها.
- فقد نظم الإسلام شؤون الأرقاء وأخذ بأيديهم في طريق الحرية ، فسوى بين الرقيق ومولاه في الطعام والشراب واللباس، وفي التعليم والتهديب ، وسواهم بسادتهم في معظم الحقوق المدنية. ونهى الرسول أيضا عن تعذيب العبيد ، وعن ابن مسعود الأنصاري قال : بينما أنا أضرب غلاما لي إذ سمعت صوتا من خلفي: " اعلم يا ابن مسعود" مرتين فالتفت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقيت السوط من يدي فقال: "والله، الله أقدرُ عليك منك على هذا." وبلغ من رحمة الرسول أنه كان لا يطبق أن يسمع أحدا يقول: عبدي أو أمتي، وأنه أمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك ، وأن يقولوا : فتاي وفتاتي.
- هكذا وضع الإسلام منهجا مثاليا عادلا في معالجة مسألة العبيد والأسارى حيث نهى عن تعذيب العبيد وسلب حقوقهم، وحرّض لتأسيس علاقة الزوجية بينهم وقسم لهم من مال الزكاة نصيبا للتحرير، ورخص لهم في كثير من أحكام الشرع، وسوى بينهم وبين غيرهم في الدين والإنسانية.

UNIT -IV

POLITICAL CONCEPT OF ISLAM

الإسلام والحياة السياسية

1- مفهوم السياسة في الاسلام

Political concept in Islam

كلمة 'سياسة' في نظر الإسلام ، تطلق على كل عمل يتعلق برعاية الأمة، وتدبير شئونها، سواء كان العمل إقتصاديا أو اجتماعيا أو تعليميا، أو إدارة الدولة، أو نشاط الأفراد والأحزاب الإسلامية، وتطلق أيضا على شئون القضاء وإدارة العلاقات الخارجية والدفاع عن الأمة والعقيدة والأوطان وغير ذلك.

دين الله تبارك وتعالى دين كامل يشمل الحياة كلها، فكل نشاط للإنسان يكون فيه حكم الله تبارك وتعالى، فالطعام واللباس والشراب والزينة والطهارة والكسب ، والتعامل مع البشر على اختلافهم جعل الله لها أحكاما وشروطا يجب على الإنسان اتباعها ليكون حياته منتظمة في هذه الدنيا ومثوبة في الآخرة وهذه سياسة الإسلام.

وعلى هذا ليس الإسلام أمرا اعتقاديا فحسب، وليس علاقة للعبد بربه فقط، ولو كان الإسلام كذلك لكان من الممكن أن تختفي نظم الحكم منه، وأن يُترك شأن المسلم لربه، ولكن أمور الدنيا التي شرعها الإسلام هي جزء من هذا الدين، وليس للمسلم اختيار فيما فرضه الله من نظم دنيوية كنظم الميراث والزواج والطلاق، فليس لمسلم أن يتزوج محرما أو يتزوج أكثر من أربعة وهكذا.

ومن أجل هذا، ارتبط الإسلام بشؤون الحكم والسياسة، واهتم بتوعية المسلمين دينيا وثقافيا، وأمر بقيام جماعة منهم بإشراف شؤون المسلمين في دينهم ودنياهم، وقد كان محمد صلوات الله عليه أول من أدى هذه المهمة، ومن بعده قام الخلفاء بأدائها، وكان هناك مجلس الشورى يحمل مع الخليفة هذا العبء، ومن الخليفة ومساعديه تكونت الحكومة الإسلامية.

مفهوم السياسة في القرآن:

لقد تحدث القرآن الكريم عن السياسة والحكومة في مواضع كثيرة من آياته، تحت عنوان الإمامة والخلافة والولاية والحكم فجعلها أمانة بيد الحاكم. وفيما يلي بعض الآيات الكريمة التي تعطينا صورة واضحة لمفهوم السياسة في الإسلام. قال تعالى مبينا عن مقصود خلق الانسان في هذه الدنيا: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وقال تعالى مخاطبا النبي دوود

عليه السلام : (يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) . وجاء في آية أخرى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

مفهوم السياسة في سيرة الرسول:

توضح السيرة النبوية للرسول الكريم مفهوم السياسة والحكم أفضل إيضاح، فقد أقام الرسول الكريم دولته المقدسة في المدينة المنورة، وطبق المفاهيم الإسلامية لتكون نهجا ودستورا للحياة. ومن الأحاديث الشريفة التي توضح مفهوم السياسة في الإسلام وشموله قوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" وقوله: "إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وقوله: "ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم ، إلا حرم الله عليه الجنة"، وقوله: "إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر."

مفهوم السياسة في أقوال السلف:

ومن أقوال السلف الصالح في مفهوم السياسة: قول أبي بكر عقب وفاة الرسول : إن محمدا مضى بسبيله، ولا بدّ لهذا الدين ممّن يقوم به. وقول عمر بن الخطاب : لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة. وقال الإمام الماوردي في "الأحكام السلطانية" : عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع. وقال ابن تيمية في " السياسة الشرعية": يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قوام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بدّ للاجتماع من رأس. وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته: إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، وإلى تسليم النظر في أمورهم إليه، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من العصور. ويقول الإمام الغزالي في " الاقتصاد في الاعتقاد" إن الدنيا والأمن على النفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع، وهذا تشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج وعمّ السيف وشمل القحط.

ب - التسامح في الاسلام

Toleration in Islam

الإسلام دين الرحمة والتسامح ، ولم يقتصر رحمته على أهل الإسلام فحسب ، بل هي شاملة على بني آدم جميعا سواء كان متدينا أو غير متدين حتى وسعت رحمته إلى الحيوانات والنباتات وإلى سائر الأشياء من هذا الكون الواسع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

يراد بالتسامح غالباً التسامح بين الأديان والعقائد المختلفة، يحترم فيه الشخص أو الأمة دين أو اعتقاد شخص آخر أو أمة أخرى، فيكون بينهم تفاهم وتعايش من غير ترخيص بمبادئهم. وفي هذا، لم يسبق دين من الأديان مثل الإسلام في بث روح التسامح والتعاون بين الأنام، والتعامل بمقتضى ذلك في السلم والحرب. فالنبي صلى الله عليه وسلم عند ما قدم المدينة كان هناك اليهود من أشهرهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع، والذين كانوا في أشد عداوة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا يرتقبون الدائرة بالنبي ودينه الإسلام. ولكن أول ما عمله النبي الكريم لما وصل المدينة أن يبرم معاهدة بينه وبين اليهود نصاً فيه التعايش السلمي بين الأديان، والاحترام بحقوق الآخرين، وعدم التعرض لمعتقدات الآخرين بالسوء، وحماية الأنفس والأموال والأعراض من الاعتداءات.

ونذكر هنا موقف النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة. قد عفا رسول الله من جميع أعدائه حين صارت أنفسهم في قبضته ورقابهم تحت قدميه، ولو استأصلهم جميعاً لما كان ذلك ظلماً وعدواناً. فإنهم الذين أدوه وأخرجوه وقتلوه، كما أدوا وأخرجوا وقتلوا أصحابه، بل قد قتلوا كثيراً من أصحابه من أجل تصديقه والإيمان به. فمع كل ذلك صفح عنهم صفحاً جميلاً وعفا عنهم عفواً عميماً. وسأل النبي صلى الله عليه وسلم لهم: يا معشر قريش! ما تظنون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإنني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وعلى هذا المبدأ سار الخلفاء والصحابة بعده، في علاقتهم مع أهل الأديان الأخرى، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء، ولا يمسون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم. وخير مثال على ذلك، العهد الذي أخذه عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس لما فتح على يديه، أعطاهم عمر الفاروق الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم، وصلبانهم. وكذا لما فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه الشام، صالح الروم، جاء في هذا الصلح: على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم.

ولإبقاء هذا التسامح، أوصى الإسلام بإكرام الجار، وزيارة المريض، ومساعدة الغريب ولو كانوا من غير المسلمين. وكذا يخاطب الإسلام متبعية بأن لا يرغموا أحداً على ترك دينه واعتناقه الإسلام، وفي هذا يقول تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين). وقد نهى القرآن إهانة شعائر الدين لغير المسلمين. قال تعالى: لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم). وقد نهى النبي عن لعن الكفار وشتيمهم بغير ضرورة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادع على المشركين! قال: " إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة".

لم يحمل الإسلام أحدا بالقوة على اعتناقه، وأعلن أن حرية العقيدة مكفولة في ظله وتحت رايته، ولم يستجب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دعوة طفيل بن عمرو الدوسي حين طلب منه أن يرسل معه قوة محاربة على حمل قومه على الإسلام قوّة ، وقال: "عُدْ إلى قومك وارْعُهُمْ وارْفُقْ بهم..". وجاءه عليه السلام صحابي من أهل المدينة يسأله أن يحمل ولديهِ كليهما على الإسلام بالقوة، فنزل قول الله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ). فمن البهتان رمي بعض الجهات المعادية، الإرهابية والعنف وجهاد الحبّ وما شاكل ذلك من الكلمات التعسفية، ضد الإسلام والمسلمين.

وربّما قيل إذا كان موقف الإسلام من حرّية العقيدة والتسامح، ففيم كانت غزوات الرسول وفتوحات الخلفاء الراشدين؟ والردّ على ذلك أنها لم تكن لحمل الناس على اعتناق الإسلام بالقوة، بدليل المصالحات والمعاهدات التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوم الدعوة، كما أعطاه الخلفاء الراشدون أنفسهم لغير المسلمين، وإنما كانت هذه الغزوات والفتوحات لتأمين الدعوة الإسلامية من أعدائها الذين يفكرون في القضاء عليها، وينتهزون الفرص لإضعافها، ولم يكن للمسلمين سبيل إلا أن يأخذوا أسلحتهم دفاعا عن عقيدتهم وأرواحهم وممتلكاتهم عن الضياع والفتوات.

ج- نظام الحكم في الاسلام *Legal system in Islam*

إنّ الإسلام نظامٌ شاملٌ لجميع شؤون الحياة، وسلوك الإنسان؛ فهناك أحكام العقيدة، وأحكام الأخلاق، وأحكام تتعلّق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وأحكام تتعلّق بعلاقات الأفراد فيما بينهم، وأحكام تتعلّق بالقضاء، وأحكام تتعلّق بأصول ونظام الحكم وقواعده، وأحكام تتعلّق بموارد الإنسان، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة، وبين الأغنياء والفقراء. وفي كل ذلك جاء الإسلام بتشريعات وقوانين حفظت للناس حقوقهم، وضمنت لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

والشريعة الإسلامية في شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية؛ لأنّها من عند الله العليم، تنطبق على جميع الأمم في كل عصر ومصر، وشريعة الإسلام جاءتْ لعموم البشر، ولم تأتْ لطائفة معيّنة منهم، أو لجنس خاص من أجناسهم، وهي كاملة خالية من النقص والتبديل، وهي تكفل حفظ مصالح الناس في الدُّنيا وسعادتهم في الآخرة. والمصادر الأساسية للتشريع الإسلامي هي:

1- القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، قال تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون}. وشرخ الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولذلك لا يجوز لأحد أن يتركه ويحكم بما سواه، وكل من جاء بتشريع يخالف شرع

الله فيحل ما حرّم الله، أو يحرم ما أحل الله، فهو خارج عن الملة. والقرآن الكريم لم يترك شيئاً إلا ذكر حكمه إما نصاً وإما ضمن القواعد العامة، قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء).

ولم يتعرض القرآن للتفصيلات وأحكام الجزئيات التي تختلف فيها الأمم باختلاف أحوالها وأزمانها، وإنما أتى بأسس مجملة وقواعد كلية قلما تختلف فيها أمة عن أمة. والسبب في ذلك أن مصالح الناس تختلف باختلاف البيئات والأزمان والأحوال، فلو شرع الله في القرآن أحكاماً مفصلة محددة، لوقع الناس في الحرج. لهذا كان حكمة الله أن شرع في القرآن الأحكام الأساسية والمبادئ العامة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، وترك الفروع والتفاصيل يتصرف فيها كل أمة وفق ما تراه بما يحقق مصلحتها على أن لا تشذ هذه الفروع عن الأحكام الأساسية التي قررها القرآن.

وفي القرآن الكريم نوعان من الأحكام: أحدهما: أحكام ثابتة وردت فيها نصوص قرآنية، وهذه لا دخل للعقل فيها إلى الاستنباط من النصوص وتوجيهها، وثانيهما: قواعد عامة غير ثابتة، وللمجتهد القادر حق الاستنباط والاجتهاد فيها، ووضع النظريات والقواعد، بشرط ألا يتعارض ذلك مع القواعد العامة للإسلام.

2- السنة النبوية :

وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، قال تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} [الحشر: 7]. وقال تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} [النساء: 65]. ولذلك يجب علينا أن نحتكم إلى سنة الرسول في الأمور التي لا نجد لها حكماً قاطعاً من القرآن الكريم، لأن السنة إما أن تبين أحكاماً موجودة في القرآن، أو تفصل أحكاماً عامة مجملة فيه، أو تأتي بأحكام جديدة، فمثلاً ذكر القرآن الصلوات وأمرنا بها، ولكنه لم يذكر عدد ركعاتها، ولا هيئاتها ولا طريقة أدائها، فجاءت السنة ووضحت ذلك بالتفصيل، وغير ذلك كثير في أمور العبادات والمعاملات.

3- الإجماع

وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي. لا خلاف بين العلماء على أن الإجماع مصدر من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله وسنة رسوله، والإجماع هو اتفاق المجتهدين من أمة رسول الله في عصر من العصور بعد وفاته، على حكم شرعي اجتهدوا فيه ليس فيه نص من الكتاب أو السنة.

ولا إجماع عند الفقهاء إلا بسند من كتاب الله وسنة رسول الله، والمجتهدون هم العلماء العارفون بأدلة الفقه من القرآن والسنة وآراء العلماء، وكيفية استخراج واستنباط الأحكام، ولقد استشهد العلماء على أن الإجماع مصدر من مصادر التشريع الإسلامي. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) واتفاق أولى الأمر هو الذي يسمى "الإجماع" وقال تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً} وقد بين المفسرون أن سبيل المؤمنين هو ما اتفق عليه المجتهدون منهم. ومما يدلّ على موثوقية الإجماع ما ورد في الأحاديث النبوية، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله تعالى، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم. وقال يد الله مع الجماعة، ومن شدّ؛ شدّ في النار.

4- القياس

وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله وسنة رسول الله والإجماع. وقد جاءت امرأة إلى رسول الله، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: حُجّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكننت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: فاقضوا الذي لله، فإن دَيْنَ الله أحق بالوفاء. فهذه الحادثة توضح استخدام الرسول الكريم للقياس، فقد قاس أمر الحج على أمر آخر، وهو قضاء الدين، فإن كانت تستطيع أن تقضي الدين عن أمها، فهي تستطيع أن تحج عنها.

فالمجتهد الجامع لشروط الاجتهاد، إذا قابلته مسألة ولم يجد لها حلاً أو حكماً صريحاً في كتاب الله وسنة رسول الله، ولم يكن في هذه المسألة إجماع من الفقهاء، ولم يكن أمامه إلا أن يبحث عن مسألة شبيهة جليّة حكمها، وتوجد علة تجمع بينهما، فيعطي حكم المسألة الجلية لتلك المسألة الخفية حكمها، وهذا هو القياس.

وجمهور الفقهاء مجمعون على أن القياس حجة، ويستدلون على حجّيته بالكتاب والسنة وأفعال الصحابة، فأما أدلة القرآن فيقول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً}. ورد الأمر إلى الله ورسوله معناه أن يرجع ما فيه خلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله، فيقاس ما ليس فيه حكم على ما فيه حكم، لوجود علة تجمع بينهما. وأما أفعال الصحابة، فمنها أن الصحابة رضي الله عنهم، اختاروا أبا بكر رضي الله عنه خليفة وبايعوه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اختاره لإمامة الصلاة وإمامتهم فيها، فقاس المسلمون الإمامة العامة على إمامة الصلاة، وقالوا: اختاره لأمر ديننا أفلا نختاره لأمر دنيانا؟!.

والإجماع والقياس يحتاجان إلى جهد كبير واجتهاد مضمّن من العلماء في استخراج الأحكام، كما أضاف العلماء مصادر وأدلة أخرى لاستنباط الأحكام، كالمصلحة المرسلّة، والاستحسان، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، ما لم يخالف شرعنا، وقول الصحابي إذا كان ملائماً لروح الشريعة، وهكذا يتضح مدى تميز الجانب التشريعي في الإسلام، وأثره في بناء حضارته.

والأئمة المجتهدون قاموا بجهود مضمّنية في استنباط الأحكام والمسائل الفقهية من القرآن والسنة وأثار الصحابة، وفي تقنينها وترتيبها حتى يسهل للخاصة والعامة الأخذ بها والعمل بمقتضاها. وأصحاب هذه المذاهب المشهورة أربعة: الإمام أبو حنيفة الكوفي، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم. فمعظم المسلمين في أنحاء العالم يقلّدون بأحد المذاهب الأربعة الفقهية، وعليها القضاء والفتوى في القضايا الإسلامية.

UNIT –V

INTELLECTUAL SECTS IN ISLAM

المذاهب الفكرية في الاسلام

جماعة إخوان الصفا

Ikwanussafa

إخوان الصفا نخبة من الفضلاء والعلماء والفلاسفة اتفقوا على مبدأ أساسي وهو أن المعرفة ليست مقصورة على نوع معين من أنواع العلوم والمذاهب بل هي شائعة فيها جميعا ولهذا وجب معرفة جميع العلوم والمذاهب وفهمها. ونشأت هذه الجماعة في منتصف القرن الرابع الهجري في عهد البوهيين وفي مدينة البصرة بالعراق. وكانوا عبارة عن جمعية سرية بثت آراءها بسرية تامة في رسائل علمية نشروها دون ذكر مؤلفيها.

ويرى كثير من الباحثين أن هذه الجماعة باطنية إسماعيلية عملت على إشاعة مذهبها المتطرف وتثبيت أركان الدولة الفاطمية. ويذكر أن فلاسفة هذه الجماعة تتلمذوا على أيدي الفارابي، ومن أبرز علمائها أو فلاسفتها زيد بن رفاعة، وأبو سليمان بن معشر البستي المعروف بالمقدسي، وأبو الحسن الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري الملقب بالمهرجاني.

أما النظام الذي يؤلف بينهم فقد وصفوه بأنه جماعي وأخوي، فهم يوصون الأعضاء الجدد بأن يتماسكوا في حالي الرخاء والشدة، وبأن يساعد بعضهم بعضا في الامور المادية والروحية، وبأن يتجنبوا الاختلاط بمن كان غير جدير بالاخوة. ولكي تبقى أخبارهم على الكتمان، عمدوا إلى إبلاغ إخوانهم، حيث كانوا في البلاد، أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة، مرة كل اثني عشر يوما، حيث يتيسر لهم ذلك، لكي يتذكروا علومهم، ويبحثوا في موضوع النفس، والرياضيات، والطبيعة، والفلك، وبصورة خاصة في الالهيات وما جرى مجراها من مسائل العلم. وكان شعارهم أن لا يتركوا علما من العلوم، ولا يهجروا كتابا من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب.

آثارها:

والمشهور من مؤلفات إخوان الصفا هي رسائلهم، وهي موسوعة ضخمة اشتملت على أغلب فنون الثقافة المعروفة في عصرهم، وتشتمل على اثنين وخمسين رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الأداب، وحقائق المعاني عن كلام الخلاء الصوفية. وتقع هذه الرسائل على أربعة مجموعات، فمنها رياضية تعليمية، ومنها جسمانية طبيعية، ومنها نفسانية عقلية،

ومنها ناموسية إلهية. المجموعة الأولى في الرياضيات تشمل على أربع عشرة رسالة تبحث في العدد والهندسة والنجوم والموسيقى والمنطق، والمجموعة الثانية من الرسائل الطبيعية تشتمل على سبع عشرة رسالة تناولوا فيها البحث عن المادة والصورة والكون والفساد والحياة والموت وغير ذلك. والمجموعة الثالثة تحتوي على عشر رسائل في المبادئ العقلية والعلل والمعلولات والبعث والنشور كما أن المجموعة الرابعة فيها إحدى عشرة رسالة في الالهيات تبحث في ماهية الايمان والطريق إلى الله، وكيفية الدعوة إلى الله وما إلى ذلك.

يشير إخوان الصفا في مواطن كثيرة من رسائلهم إلى رسالة أخرى غير تلك الرسائل، ويسمونها 'الرسالة الجامعة' ويصفونها بأنها جامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها، والمشتمة على حقائقها. ويأتي دور إخوان الصفا في أنهم أسهموا مع معاصريهم من الفلاسفة في ازدهار الحياة العقلية في العالم العربي الإسلامي بنشرهم رسائلهم بين العامة والخاصة. ومما ساعد على نشر رسائلهم أنها كانت بأسلوب سهل جدا يفهمه الرجل العادي غير المتخصص، ويستفيد به المتخصص وتكشف رسائلهم التي كانت مزيجاً من آراء اليونان والفكر الإسلامي، عن مدى تطور العقلية العربية ومدى استيعابها لأصول الدين الإسلامي، بالإضافة إلى اقتباسهم من كتب اليونان ما يتناسب مع الشريعة كما أنهم كان لهم دور كبير في عملية التوفيق بين الوحي والعقل أو بين الدين والفلسفة.

الزهد والتصوف

Asceticism

الاسلام دين شامل اهتم بجانب المادي والروحي من حياة الإنسان، وقد أباح كل ما ينفع للإنسان في هذه الحياة من مطعم وملبس ومسكن وزواج وتجارة وغيرها من متعة الحياة ومرافقها الدنيوية، وكذا عنى الاسلام عناية كبيرة بالجانب الروحي ورغب فيها وحث عن كل ما يُصرف همّه عن الحياة الآخرة. ومن أدعية القرآن المشهورة: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

ومن الأخلاق الكريمة التي يقرب العبد إلى الله تعالى الزهد. فالزهد لغة: هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه احتقاراً له وتصغيراً لشأنه، وفي اصطلاح الشرع : هو قطع علاقة الإنسان بالدنيا ومباهجها وعن كل ما هو يصرف همه عن ذكر الله تعالى. ويتضح هذا من أقوال الزهاد المشهورة، قال ابن الجلاء: "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها" وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: "الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب" وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد، وهذا زهد العارفين". فالزهد تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله ومعرفته. وعلى قدر تخلص القلب من تعلقاته بزخارف الدنيا ومشاغلها يزداد الله تعالى حباً

وله توجهاً ومراقبة ومعرفة، ولهذا اعتبر العارفون الزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى، وشرطاً لنيل حبه ورضاه، وليس غاية مقصودة لذاتها.

وقد رغب الإسلام ضمن آياته الكريمة وأحاديثه النبوية على التزهد في الدنيا وتحقير أمرها والانقطاع إلى الدار الآخرة. قال تعالى: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقال: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ وإنَّ الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لو كانوا يعلمون) وقال (المالُ والبنونَ زينَةُ الحَيَاةِ الدنْيَا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عندَ ربِّكَ ثواباً وخيراً أملاً). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء" وقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدّ نفسك من أصحاب القبور". فقد روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دُلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس قال له: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك"

وليس معنى الزهد ترك المال والدنيا أو هجر الأزواج والأولاد فيقعد عن العمل والكسب أو يبقى عزوباً متبتلاً، بل المراد قطع علاقته بالدنيا و ترك الحرص في جمعها، ولا ينافي التمتع بالحلال والسعي على العيال والعمل في مجالات الحياة لحقيقة الزهد. ولكن للزهد مراتب، يختار منها كل ما يوافق لحالته، وقال الإمام أحمد: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن تبعهم كانوا زاهدين في الدنيا مع ما كان لهم من جاه العلم والمال، ولا يقدرُوا لهذه الدنيا وزينتها حبة خردل، مرت بهم فترات من الفقر والشدائد والمحن فما ازدادوا إلا صبراً وتسليماً ورضاءً بحكم الله تعالى، ثم جاءتهم الدنيا صاغرة، وألقت بين أيديهم خزائنها ومقاليدها فاتخذوها سلماً للآخرة ووسيلة إلى رضوان الله تعالى، دون أن تشغل قلوبهم عن الله تعالى وطاعته، أو تُوقعهم في الترف والبطر، أو الكبر والغرور، أو الشح والبخل. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: "ما لي ولدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها". وتارة يشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حقارة شأنها في نظر الحق سبحانه فيقول: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء". فقد خرج أبو بكر رضي الله عنه عن ماله كله في سبيل الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تركت لأهلك؟ قال: تركتُ الله ورسوله". وقالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لعمر: يا أمير المؤمنين! لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك، وقد وسّع الله من الرزق وأكثر من الخير، فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، ألا تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي من شدة العيش؟ فما زال يُذكّرُها حتى أبكاها.

وهكذا سار الرسول عليه الصلاة والسلام هو وخلفاؤه وأصحابه الكرام على هذا المنهج الكريم، فعزفت نفوسهم عن الدنيا، وزهدت قلوبهم فيها. وما حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام إلا القدوة العملية الكاملة التي سار المؤمنون الصادقون على نهجها فكانوا مثالا للزهد والعفة والطهر والاستقامة.

التصوف والصوفية

Sufism

كلمة التصوف دخيلة إلى العربية، وهناك آراء كثيرة عن أصل الكلمة واشتقاقها، وأرجحها أن لفظة 'التصوف' تنتسب إلى الصوف، وكما أنه يقال: تقمّص إذا لبس القميص- كذلك يقال: تصوّف إذا لبس الصوف، لاشتهار أهل التصوف بلبس الصوف لما فيه من خشونة وزهادة بالدنيا، ثم أطلق على كل من سلك طريقهم وإن لم يلبسوا الصوف. وجاء في شرح الشفاء للقاضي عياض العبارة التالية: "الصوفية واحده صوفيّ، ويقال: تصوّف، اذا انقطع إلى الله تعالى، كما يقال تقيّس إذا ان انتسب لـ قيس، وهذا لفظ مولد، واصطلاح حدث بعد القرن الأول، فقال بعضهم الصوفيّ هو المنقطع بهمّته إلى ربّه، وهم مقتدون بأهل الصفة رضي الله تعالى عنهم، والصفة سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم... أو هم منسوبون للصوف، للينهم وسهولة أخلاقهم، أو لبسهم الصوف لاختياره الفقر، وهذا أظهر الأقوال لفظاً ومعنى".

نشأة التصوف:

وإن لفظة " التصوف " أو "الصوفية" وإن كانت مستحدثة بعد القرن الأول الهجري، فإن مدلولها من الزهادة في الدنيا والاحتقار بزخارفها هو من معاني الاسلام وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم. يذكر ابن خلدون أن التصوف أحد العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها، والانفراد عن الخلق، وهذه الصفات كانت عامة في الصحابة والسلف، ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

فالصحابة والتابعون - وإن لم يتسموا باسم المتصوفين - كانوا أهل التصوف فعلاً وإن لم يكونوا كذلك اسماً، لأنهم كانوا أهل تقوى وورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتسابقون ويتبادرون في الاقتداء به في ذلك كله، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية، والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات، وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسنى الدرجات، فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان، والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه وسلم من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، وفاضت

الأسرار الربانية على جوانحهم. وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين، وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قد نشب الفتن والأهواء في الملة الإسلامية ودام الحروب والقتال بين المسلمين بعد الخليفة الثالث، وتفرقت الأمة إلى فرق ومذاهب، فتباعد أهل القلوب والزهادة عن هذه الفتن ولم يتدخلوا فيها ولم يتشعبوا فيها بشيعة ولم يرغبوا الملك والخلافة، بل انفردوا عن الجماعة وانقطعوا إلى الله تعالى بالتضرع والعبادة، واحتقروا الدنيا وما فيها فعرفوا بالمتصوفة.

والصوفية في القرون الأولى من أصفياء عباد الله تعالى، كانوا على أتم علم وورع وتقوى من الله تعالى، وكانوا أصحاب التربية والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى. يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام": إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله، ويحذرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الرذائل مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه، وتركية النفس وإصلاحها، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والإيثار، وعلاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشيخ ومريديه إنهم كانوا يعظون الناس دائماً، ويحاولون أن يُلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه، والحنين إلى رضاه، ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغيير الحال. ويشير أيضا إلى أحوال بعض مشائخ الصوفية قائلا: أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، يجددون العهد والميثاق مع الله، ويعاهدون على ألا يشركوا ولا يكفروا، ولا يفسقوا، ولا يبتدعوا، ولا يظلموا، ولا يستحلوا ما حرم الله، ولا يتركوا ما فرض الله، ولا يتفانوا في الدنيا، ولا يتناسوا الآخرة. وقد دخل في هذا الباب - وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني - خلق لا يحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم، ويشرف عليهم، وعلى تقدمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان.

ولكن بعد مضي الزمان انتسب إلى التصوف بعض الأذعياء والجهال وتظاهروا بالتصوف وتركوا الفرائض وارتكبوا المحرمات. وهؤلاء المتصوفة قال عنهم الإمام الغزالي في إحياءه: إن أكثر متصوفة هذه الأعصار، لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار، ودقائق الأعمال، ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة، وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين، قد ألفوا البطالة، واستنقلوا العمل، واستوعروا طريق الكسب، واستلناوا جانب السؤال والكدية... لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة، وانتشار الصيت، واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع... ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويعتقدون أن كل سوداء تمررة.. فهؤلاء بغضاء الله."

علم الكلام

Scholasticism

علم الكلام هو "علمٌ يُبحث فيه عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام" هذا ما قاله الجرجاني في تعريف علم الكلام، قول ابن خلدون في مقدمته: "هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة". يعتبر علم الكلام من أهمّ العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخاً، وأشدّها حساسيةً، حيث إنه لا بدّ لكلّ مسلم أن يتخذ موقفاً واضحاً من أصول الاعتقادات، ويبنى عليها عقيدته الإسلامية، ويسمى أيضاً 'علم أصول الدين'. وقد تعرّض القرآن الكريم، والنبى صلى الله عليه وآله، والأئمة من بعده، لكثير من الأدلة الفطرية والعقلية الداخلة في إثبات المسائل الاعتقادية. وإنّ اختلاف الفرق الإسلامية - منذ العصر الأوّل الإسلامي، حتّى العصر الحاضر - وتمسك كلّ فرقة بأدلتها، ومحاولة الردّ على أدلة باقي الفرق، وغير ذلك من الأسباب، أدّى إلى تطوّر هذا العلم، واتساع مسائله، وجعله من أكثر العلوم الإسلامية حيويةً.

نشأة علم الكلام:

كانت بداية نشأة علم الكلام، الفرق التي ظهرت نتيجة لخلاف المسلمين العقائدي والسياسي، وقد عرفت هذه إلى عشرات الفرق والتي بدأت بفرقة الشيعة، وأهل السنة والجماعة، ثم فرقة خوارج وفرقة المرجئة. وبسبب الخلاف بين الفرق السابقة ظهرت فرق أخرى مثل المعتزلة والقدرية والجبرية والجهمية، وكل فرقة من هذه الفرق انقسمت إلى فرق داخلية. وبتطوّر العقلية العربية يوماً بعد يوم تطوّر البحث العقلي والعقدي والسياسي. ففي عصر الدولة العباسية ظهرت الترجمة واتفق علماء المسلمين على وضع علم خاصّ يقوم بتنظيم البحث في مشاكل هذه الفرق وقضاياها وأسباب الخلاف وغيرها من المسائل، وهذا العلم هو علم الكلام أو علم أصول الدين. وتعدّ نشأة علم الكلام البوابة الأساسية لنشأة الفكر الإسلامي بعد ذلك.

نشأة الفرق الإسلامية والكلامية:

وكان أول خلاف حدث في صفوف المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مسألة الإمامة والخلافة. وقد ظهر بين المسلمين في هذا الصدد ثلاثة آراء كما يقول الأشعري في مقالات الإسلاميين.

1. رأي الانصار وهم أول من آوى الرسول ونصره: قالوا نحن أحق الناس بالخلافة
2. رأي المهاجرين وهم أول الناس إسلاماً، وكان معظمهم قرشيين. قالوا نحن أحق بالخلافة من غيرنا.

3. رأي بني هاشم: قالوا نحن أقرب القرشيين إلى الرسول، لأنهم كانوا يمثلون عائلته. وهذه وجهة نظر علي بن أبي طالب ابن عم الرسول، ووافقه عليها العباس بن عبد المطلب وعمار بن ياسر وغيرهما.

(أ) أهل السنة والشيعة:

ولكن لم ينشأ عن الاختلاف بين هذه الآراء أي انشقاق حادّ في صفوف المسلمين. ويبدو أن مكانة أبي بكر في نفوس المسلمين كانت لها تأثير كبير في جمع كلمتهم حوله. على أي حال، فإن بيعة أبي بكر رضي الله عنه قد أجلت الخلاف بين المسلمين أو أرجأته ولكن لم ينته ولم يُقضى عليه. ويرجع نشأة التشيع لعلي - كرم الله وجهه - إلى هذا الخلاف البسيط الذي نشأ بين المسلمين عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. لكن هذا لن يكون إلا في شيء من التجوز لأن التشيع كعقيدة فلسفية لم ينشأ على وجه الحقيقة إلا في عصر بني أمية.

وذلك أن أصحاب التشيع جرّوا الخلاف حول الإمامة أو الخلافة إلى خلفية فلسفية. ورأوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن صاحب سلطة روحية فقط، بل كان حاكماً. أي أنه كان يجمع بين السلطتين الزمنية والروحية. ولهذا كان من الطبيعي أن يكون خليفته أيضاً أن يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية. وإن الذين قالوا بأن الخلافة أو الإمامة تكون بالاتفاق والاختيار أي بالبيعة والاستفتاء والشورى - وهؤلاء هم أنصار أبي بكر والخلفاء الذين جاءوا بعده - هم عرفوا بأهل السنة. وأما الذين قالوا بأن الخليفة لا بدّ أن يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية، فهم الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب، وقالوا بأن الخلافة تكون بالنص والتعيين. وهم قد رأوا أن السلطة الروحية لم تنته بوفاة الرسول بل امتدت في علي بن أبي طالب وأيضاً في الأئمة من بعده وهم أهل العترة. ولهذا نسبوا العصمة إلى عليّ والأئمة من ذريته إلى جانب قولهم بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هنا نشأت فكرة الوصية، ولقب عليّ بالوصي، يريدون أن النبي أوصى لعليّ بالخلافة من بعده، فكان وصي رسول الله، فعليّ ليس الإمام بطريق الانتخاب، بل بطريق النص من رسول الله، وعليّ أوصى لمن بعده، وهكذا كل إمام وصي من قبله، وانتشرت كلمة الوصي بين الشيعة واستعملوها. ولم يكتف غلاة الشيعة بهذا القدر، ولم يقنعوا بأن علياً كرم الله وجهه أفضل الخلق بعد النبي، وأنه معصوم، بل ألوهه، فمنهم من قال حلّ في عليّ جزء إلهي، وقالوا بنظرية اتحاد اللاهوت في الناسوت.

وهم تفرعوا إلى فرق، ومن أهم هذه الفرق الكيسانية والزيدية والإمامية: الاثناعشرية والاسماعيلية. وهذه الفرق أتوا بمسائل ومقدمات فلسفية لإثبات دعواهم كالوصاية، والتقية، والتناسخ، وخلق العالم عن طريق العقل الكلي، وحلول اللاهوت في الناسوت.

على هذا النحو نشأ أول خلاف بين المسلمين حول الإمامة. وكان خلافاً سياسياً كما يبدو لكّنه تطوّر حتى أصبح خلافاً فلسفياً قسّم المسلمين إلى حزبين حزب الشيعة وحزب أهل السنة والجماعة.

(ب) الخوارج والمرجئة

وأما الخلاف الثاني الذي جرى بين المسلمين فكان أيضا يدور في أول الامر حول الخلافة ثم توسع إلى العلاقة بين الإيمان والكفر، ولكن ظهرت فرقة حول هذه المسئلة باسم الخوارج بعد مقتل صفين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما فكفروا عليًا ومعاوية في أمر التحكيم فقالوا بصحة خلافة أبي بكر وعمر لصحة انتخابهما، وبصحة خلافة عثمان في سنيه الأولى، فلما غير وبدل ولم يسر سيرة أبي بكر وعمر، وأتى بما أتى من أحداث وجب عزله، وأقروا بصحة خلافة عليّ ولكنهم قالوا إنه أخطأ في التحكيم فكفر به.

وبنوا مسئلة الخلافة على نظرية فلسفية وهي: أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حرّ من المسلمين، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكم، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشياً، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ولو كان عبدا حبشياً، وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين، ويجب أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله. وقد خالفوا بهذا نظرية الشيعة القائلة بانحصار الخلافة في قريش وفي بيت عليّ. وهذه النظرية هي التي دعت الخوارج إلى الخروج على خلفاء بني أمية ثم العباسيين لاعتقادهم أنهم جائرون غير عادلين، لم تنطبق عليهم شروط الخلافة في نظرهم.

قال أحمد أمين في كتابه " فجر الإسلام " : "نري الخوارج في أول أمرهم كانت صبغتهم سياسية محضة، ثم نراهم في عهد عبد الملك ابن مروان قد مزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث لاهوتية، وأكبر من كان له أثر في ذلك الأزارقة، أتباع نافع بن الأزرق. وأهم ما قرره الخوارج في ذلك أن العمل بأوامر الدين – من صلاة وصيام وصدق وعدل- جزء من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد وحده. فمن اعتقد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر".

ومن أهم فرق الخوارج الحجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد والأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق والنجدات من أنصار نجدة بن عامر الحنفي

وأمام هذا التفكير الإجمالي قامت فرقة أخرى هي فرقة المرجئة وهم أرجأوا الحكم على العمل أو تركوا الحكم فيه لله. وحاولوا لتخفيف شدة التكفير بين الخوارج والشيعة في أمر الخلافة ومرتكب الكبيرة. وقالوا إن الأعمال ليست جزءاً من الإيمان، أي الإنسان لا يعدّ كافراً إذا ارتكب معصية وإن كانت كبيرة طالما كان مؤمناً بقلبه، ولا أحد يستطيع الحكم على ما في قلوب البشر إلا الله تعالى. فعلياً أن نرجأ أمر المختلفين حول الخلافة إلى الله وإلى يوم القيامة. وهذه النزعة أدت إلى عدم الدخول في الحروب والمنازعات، التي جرت بين المسلمين. ثم تطورت المرجئة وغالوا في دعواهم قائلين إن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، أو عبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزوجل.

(ج) القدرية والجبرية (Qadarites and Jabarites)

وكان الخلاف الثالث الذي جرى بين المسلمين حول الإرادة الانسانية، هل هي اختيارية أم اضطرارية؟ وبمعنى آخر هل الانسان مخير في ان يعمل ما يشاء حسب اختياره أم هو مقهور في أن ينقاد لمشيئة الله تعالى إجباريا.

ذلك أن المسلمين قد وجدوا أن القرآن الكريم يحتوي على آيات تقرر أن الإنسان حرّ مختار وأنه مسئول عن أفعاله . وعلى آيات أخرى تشعر بأن الله هو الذي يريد الهدى والضلال للناس وأن الإنسان مجبر في أفعاله. فمن الآيات الأولى مثلا قوله تعالى: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (الكهف:29)، وقوله: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم (البقرة:225)، وقوله: كل امرئ بما كسب رهين (الطور:21). ومن الآيات التي تشعر بالجبر قوله تعالى: وما تشاءون إلا أن يشاء الله (الانسان:30)، وقوله: من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم(الأنعام:39). وقوله: هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (التغابن:2) وقوله: وما تشاءون إلا يشاء الله رب العالمين (التكوير:29).

وأمام هذه الآيات انقسم المسلمون الأوائل إلى فريقين : فريق القدرية الذي تطور فأصبح المعتزلة. وهؤلاء يؤمنون أن الإنسان حرّ الإرادة يعمل ما يشاء، وأنه مسئول عن عمله، وهذه المسئولية تقتضي الحرية، فلا معنى لأن يعدّب ويثاب إذا كان كالريشة في مهب الريح لا بد أن تتحرك بحركته وتسكن بسكونه. وقد مثل القدريين الأوائل شخصيات قليلة أهمها شخصيتان: معبد الجهني وغيلان الدمشقي . هؤلاء القديرون الأوائل هم المبشرون الأول بمذهب الإرادة الحر الذي ستقول به المعتزلة. وتتلخص تعاليم المعتزلة في الأصول الخمسة : التوحيد، والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفريق الجبرية نفوا الفعل حقيقة من العبد وأضافوه إلى الله تعالى. وهؤلاء رأوا "أن الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازا كما ينسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وأمطرت السماء. والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا"

وأهل السنة قاموا في وسط الأمر بين هذين الرأيين المتعارضين وأثبتوا للعبد أفعالا اختيارية يثابون بها إن كانت طاعة، ويعاقبون بها إن كانت معصية. فالعاقل يفرق بين أفعال العباد هل هي اختيارية أم هي إجبارية؟ فإن حركة البطش اختيارية وحركة الارتعاش اضطرارية مثلا، ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلا، لما صح تكليفه، ولا ترثبُ استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله، ولا إسنادُ الأفعال إليه على سبيل الحقيقة، مثل صلى وصام وكتب.

والنصوص القطعية تنفي ذلك كقوله تعالى: جزاء بما كانوا يعملون (الواقعة:24) فمعنى خلق الله جميع أفعال العباد أنه تعالى عالم بكل شيء، وأحاط علمه بما كان وما سيكون، فيعلم ما يصدر عن كل فرد من خير وشرّ بسابق علمه، فلا معنى له أنه يجبر العبد على عمل بسلب عقله وقدرته عن الاختيار والكسب.

وعلى الاختصار أن هذه الفرق (الشيعية، أهل السنة، الخوارج، المرجئة، المعتزلة، وما تفرغ منها) نشأت نتيجة الخلاف السياسي والعقدي ، وتحولت بعد ذلك إلى مذاهب فكرية وعقائدية إلى أن وصلت إلى الحد الذي يحتم على العلماء وضع علم خاص بها فتأسس على ضوء هذه الفرق، علم الكلام الذي يسمى علم أصول الدين أو علم التوحيد.

(د) المعتزلة :

نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي. ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن. ويختلف العلماء في وقت ظهورها، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب عليّ رضي الله عنه اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة، لمعاوية بن أبي سفيان، وفي ذلك يقول أبو الحسين الطرائفي في كتابه ' أهل الأهواء والبدع' وهم سموا أنفسهم 'معتزلة'. وذلك عندما بايع الحسن بن عليّ عليه السلام معاوية، وسلم الأمر إليه، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشغل بالعلم والعبادة.

والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وقد كان ممّن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي. فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر. وهي مسألة مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفا الحسن البصري: أنا أقول أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، ولا هو كافر بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن، واتخذ له مجلسا آخر في المسجد. فقال الحسن البصري: هو اعتزل عتّا.

وأصول المعتزلة خمسة. قال أبو الحسن الخياط أحد شيوخ المعتزلة، في كتابه ' الانتصار، وليس أحد يستحقّ اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة " التوحيد والعدل، والوعد والعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا جمع هذه الأصول فهو معتزلي".

المعتزلة من أهم الفرق الكلامية والتي تعد أساس نشأة علم الكلام، لأن مبادئها كانت قائمة على العقل، لهذا كان لها دور بارز في إثراء الحياة الفكرية والعقلية، إضافة إلى أنها تعد من أكبر الفرق الإسلامية، وتعدّ أيضا المدرسة التي تخرّج منها معظم فلاسفة وعلماء الإسلام. فمنها تخرّج الكندي وأبو الحسن الأشعري الذي رجع عن هذا المذهب، وأسس مذهب الأشاعرة، ومنهم

الجاحظ وأبو حيان التوحيدي. وأشهر اعتقادهم قولهم بحرية العقل الإنساني وأن الانسان هو خالق أفعاله ولهذا فهو مسئول عنها.

هـ) الأشاعرة : (Asharites)

لما اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محدث مشهور، حتى كرههم الناس، ظهر في آخر القرن الثالث في البصرة رجل من فرقة المعتزلة، وهو أبو الحسن الأشعري، تلميذ شيخ المعتزلة أبي العلي الجبائي، ونائبه، وفارق الجماعة وتصدى لمقاومة المعتزلة وأهل الأهواء، وتأييد مذهب أهل السنة والجماعة، وانتصر به العلماء والفقهاء والمحدثون، فعرفوا بالأشاعرة نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري من ذرية أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ما فارق الأشعري مجلس المعتزلة، نهض يدعو إلى عقيدة أهل السنة، ويدافع عنها في حماسة وإيمان، ويردّ على المعتزلة، ويتبعهم مجالسهم ومراكزهم يحاول إقناعهم بما اقتنع به أخيراً من عقائد أهل السنة ومذاهب السلف. واكتسب الأشعري ملكة قوية ومراناً على البحث والاستدلال بحكم اشتغاله بالبحث في علم الكلام، والدفاع عن المعتزلة، وكان صاحب موهبة وقريحة في المناظرة والاستدلال، شديد المعارضة قوي الحجة. فصار إماماً مجتهداً في علم الكلام وأحد مؤسسيه، وقد خضع كل من جاء بعده من المتكلمين لعبقريته، وعمق كلامه ودقة نظره، وإصابة فكره.

أقام الأشعري مذهباً وسطاً بين الفرق المغالية من المعتزلة والجبرية والحشوية والمجسمة. وقد سلك في الاستدلال على العقائد مسلك العقل والنقل، فهو يثبت ما جاء في القرآن والحديث من أوصاف الله ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، وفوق ذلك يتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية. وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطق.

مبادئ الأشعرية

تقوم مبادئ الأشعرية على بيان العقيدة الإسلامية وموقفها من الآراء الجديدة التي أثارها المذاهب الأخرى. وقد أجمل أبو الحسن الأشعري مبادئه في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» بقوله:

«قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك : بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون». ثم فصل هذا الإجمال بنحو خمسين مسألة بين فيها مبادئ العقيدة الصحيحة بدأها بقوله: «وجملة قولنا أننا نقرّ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نردّ من ذلك شيئاً وأن الله عز وجل إله واحد...، وأن محمداً عبده ورسوله...، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور»، وختمها بقوله: «ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء». ويتضح من

هذا التفصيل الموقف الصحيح في قضايا «الإيمان» و«صفات الله تعالى» و«القضاء والقدر» و«الخلافة» وغير ذلك من المسائل الأساسية.

ففي الإيمان: يرى الأشاعرة أنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً ما لم ينطق بكلمة التوحيد، وهذا النطق شرط لا بد منه. وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ولكن المعاصي، لا تخرج مرتكبها من الإيمان إلى الكفر. ولو كانت من الكبائر.

وفي صفات الله تعالى يقولون: إن الله تعالى صفات حقيقية، أزلية، مثل العلم والقدرة والكلام والبصر والسمع، وإن الله تعالى عالم بعلم، وقادر بقدرة، ومتكلم بكلام، والقرآن كلامه غير مخلوق. وهكذا سائر الصفات التي يجب التسليم بها، وأخذها كما وردت في الكتاب والسنة بلا كيف، ولا تحديد لطبيعتها.

من أشهر رجال الأشاعرة القاضي أبو بكر الباقلاني صاحب مذهب الجوهر الفرد، وأبو أسحق الإسفرائيني، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني، والامام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي. وحاولوا التوفيق بين آراء الفرق المختلفة، مثل قضية خلق القرآن، وقضية صفات الله، وقضية خلق الأفعال، ومشكلة الحسن والقبح، ونظرية الجوهر الفرد.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.